الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحـــرر

«المسيح، حياة الحيـاة»

٢٩ إبريل - ١ مايـو ٢٠٢٢

«المسيح، حياة الحياة»

الرياضة الروحية لأخوية
الشراكة والتحرر

قام بالترجمة من الإيطالية: لوقا أسعد ناروز

٢٠٢٢

صورة الغلاف: «أيقونة المسيح»، بمتحف دير الرهبان السيسترسيين بمدينة بوبليه، كاتالونيا، أسبانيا

«يسر الحبر الأعظم توجيه تحياته القلبية إلى المشاركين في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي ستكون حول موضوع «المسيح، حياة الحياة». ويأمل أن تكون هذه الأيام الروحانية فرصة سخية لتجديد التمسك بالمعلم الإلهي، من خلال حضور خصب ومثمر بشكل دائم في الكنيسة والمجتمع، وباتباع موهبة خادم الله الأب لويجي جوساني. كما يحثنا الأب الأقدس، في مواجهة النزعة الفردية واللامبالاة التي تميز زماننا والمُتسببة في ضياع حياة العديد من الناس، على الوضع في الاعتبار أن إجابة المسيحية لا تكمُن في الاقرار المستسلم بوجود الفقر القِيمي اليوم ولا في بكاء الحنين إلى الماضي، ولكن تكمن في المحبة التي تُحييها الثقة في العناية الإلهية، والتي تعرف كيف تحب الزمن الذي تعيش فيه، وتقوم بتجديد كل شئ في تواضع. ويؤكد قداسته بهذه الأماني على تذكركم في صلاته ويرسل عن طيب خاطر بركته الرسولية، ضماناً للخير الذي ينشده كل انسان».

نيافة الكاردينال بييترو بارولين وزير خارجية دولة قداسة البابا
١١ إبريل ٢٠٢٢

مساء الجمعة الموافق ٢٩ إبريل ٢٠٢٢

عند الدخول و الخروج:
سيرجي رحمانينوف، الليتورجية الإلهية للقديس يوحنا الذهبي، الجزء ٣١
فاليري بوليانسكي – الانشاد السيمفوني للدولة الروسية
«الروح اللطيف» رقم ٢١، (تسجيلات كلافيس) العالمية

تحية المقدمة
لدافيدي بروسبيري

لنتضرع إلى الروح القدس كي يرافقنا طوال مسيرتنا هذه الأيام، طالبين منه بكل ما أُوتينا من قوة وتواضع نعمة الاستعداد للقيام بعمله، حتى يمكننا أن نتذوق أكثر حلاوة المسيح الحاضر بيننا ونعود إلى بيوتنا بميلاد جديد و كخليقة جديدة:

تعال أيها الروح القدس

في البداية، أقرأ عليكم برقية قداسة البابا:
«يسر الحبر الأعظم توجيه تحياته القلبية إلى المشاركين في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي ستكون حول موضوع «المسيح، حياة الحياة». ويأمل أن تكون هذه الأيام الروحانية فرصة سخية لتجديد التمسك بالمعلم الإلهي، من خلال حضور خصب ومثمر بشكل دائم في الكنيسة والمجتمع، باتباع موهبة خادم الله الأب لويجي جوساني. كما يحثنا الأب الأقدس، في مواجهة النزعة الفردية واللامبالاة التي تميز زماننا والمُتسببة في ضياع حياة العديد من الناس، على الوضع في الاعتبار أن إجابة المسيحية لا تكمُن في الاقرار المستسلم بوجود الفقر القِيمي اليوم ولا في بكاء الحنين إلى الماضي، ولكن تكمن في المحبة التي تُحييها الثقة في العناية الإلهية، والتي تعرف كيف تحب الزمن الذي تعيش فيه، وتقوم بتجديد كل شيئ في تواضع. ويؤكد قداسته بهذه الأماني على تذكركم في صلاته ويرسل عن طيب خاطر بركته الرسولية، ضماناً للخير الذي ينشده كل انسان». الكاردينال بيترو بارولين وزير خارجية دولة قداسته».

سيتابع الرياضة الروحية معنا في إيطاليا هذه الأيام أصدقاء من ٤٢ دولة بالتواصل المرئي عبر الانترنت، وفي الأسابيع المقبلة ستعيش ٤٨ دولة أخرى نفس الرياضة الروحية التي تم ترجمتها في نفس الوقت إلى ٧ لغات. هذه هي الصورة الشاملة للعمل الذي نقوم به.
لماذا نحن هنا الليلة؟ لماذا نبقى مجتمعين طوال هذه الأيام الثلاثة، بالحضور الجسدي وبالحضور عن بعد عبر الانترنت، ولكننا مجتمعين على أية حال؟ ما الذي أقنعنا مرة أخرى بأن نلتقي معًا من جديد، بعد عامين من الوباء الذي جعلنا نعيش العزلة ونختبر ألم فقدان العديد من أحبائنا أيضاً; ولماذا نظل سوياً بعد المحن والهزات التي أثرت على حركتنا وفي مواجهة عدم اليقين تجاه المستقبل المهدد بشبح الموت والشر الذي تجلبه الحرب معها؟
وقد أجاب الأب جوساني على نفس السؤال في تقديمه للرياضة الروحية للأخوية عام ١٩٩٢ على النحو التالي:
« ... إن ما يهم حقًا لهذه الصُحبة الحاضرة هو شيء مشترك بيننا لا شك فيه. فكل واحد فينا له شخصيته الخاصة، ووجهه، وقلبه، ومزاجه ، وطبعه، وهناك عدد قليل نسبيًا من الناس يعرفون بعضهم البعض بهذه التفاصيل؛ ولكن هناك أيضًا الأشخاص الذين لم أرهم من قبل، والذين يضلون في الظلام الذي زاد بهذه الأضواء القوية التي تحرق عيني، وأيضاً أولئك الذين لم أرهم يشتركون معي في الحياة كمهمة يجب إنجازها أو القيام بها ؛ مهمة لم تكن مقصودة أو مطلوبة مني أو منهم، بل مهمة مشتركة ومماثلة بالنسبة لي وبالنسبة لآخر وأبعد إنسان جغرافياً من بينكم: مهمة مكلف به. إن ما هو شائع ومشترك هو أننا نريد أن نعرف عن هذه المهمة وننشد من كل قلوبنا أن نعرف «السبب وراءها»؛ ونريد أيضًا أن نعرف إلى أين تنتهي كل حيويتنا وكل قدرة تعبيرنا وكل تفانينا وكل حياتنا وما هو الهدف من العيش، مع المشقة التي يجب تحملها والتناقضات التي يجب أن نمر بها وعار الذات الذي يجب تحمله ("صلي من أجلنا نحن الخطاة"). هذه الأشياء مشتركة بين الجميع، فهي أهم الأشياء بالنسبة لكل واحد منا. فنحن نجتمع معًا فقط لإعادة فحص هذه الكلمات، والتي ، لكونها الكلمات الأساسية في حياة كل واحد منا، تظل دائمًا هي نفس الكلمات ولا تتساوى أبدًا عندما نكررها لأنفسنا. وهذه هي بالتحديد معجزة وسر الحياة التي هي حياة، والتي يتم التعبير عنها على مستوى هذه الكلمات الحاسمة بشكل كبير لوجه يدوم دائمًا، ومقدر له أن يدوم إلى الأبد: الوجه الأبدي لذواتنا» [1].
هذا المساء، كل واحد منا مدعو لأن يسأل نفسه شخصيًا السؤال العظيم الذي تعلمنا أن نسأله لأنفسنا في كل مرة نلتقي فيها: لكن أنا، أنا ديفيد وأنت، مهما كان اسمك، لماذا أنت وأنا هنا الليلة؟

[1] الأب لويجي جوساني، «حدث في حياة الانسان»، بور، ميلانو، الصفحات ٨٦-٨٧.

أنا هنا لأنني عشت لقاءً منذ سنوات عديدة. لم يكن في البداية أكثر من خبرة إنجذاب وانبهار بانسانية مليئة بالوعود: الوعد بمعنى الحياة والوعد بمهمة والوعد بمثل قادر على جعل الحياة أكمل وأعظم مئة ضعف، والوعد بمثالية قادرة على شرح الأفراح والأحزان، والعدل والظلم، والسعادة والتعاسة التي تميز حياتي وحياة الجميع.

لقد أدخلني هذا اللقاء إلى تيار من الحياة اتخذ شكل الصُحبة البشرية التي استطعت أن أختبر عظمتها وقوتها: قوة لتحسين وتنمية بذرة الخير التي بداخلي، وقوة تمنعني من الشعور بالخزي والعار أمام شري وبؤسي. لذا إذا كان عليّ استخدام كلمة واحدة لتلخيص معنى القصة التي أتت بي إلى هنا الليلة، فإن الكلمة التي تتبادر إلى ذهني هي كلمة «الرحمة». الرحمة، لأنني أدرك أنني إذا تمكنت من البقاء وفية وأمينة لهذه القصة حتى يومنا هذا ، فقد كان ذلك ممكنًا قبل كل شيء بسبب إخلاص الرب لحياتي، الإخلاص الذي اتخذ ملامح وجوه الكثيرين من الرفاق الذين وضعهم بجانبي في مسيرة حياتي هذه. الرحمة – علمنا الأب جوساني – هي كلمة بالغة السوء يجب إزالتها من القاموس. لكن من واقع خبرتي، الرحمة تعني هذا: نحن لسنا نتيجة لحساباتنا الخاصة. وإذا أخبرني أحدهم قبل بضع سنوات أنني سأجد نفسي هنا يومًا ما، في هذه اللحظة التي أتحدث فيها إليكم، كنت سأنفجر من الضحك بالتأكيد. لكننا لسنا نتيجة لحساباتنا: إذ يقول الرب للقديس بولس: «تكفيكَ نِعمَتي. في الضُّعفِ يَظهَرُ كَمالُ قُدرَتي» [2].

اسمحوا لي بفكرة أخرى: حول وجودنا هنا الليلة، وإلى ماذا نقول نعم بالضبط؟ والى ماذا أقول نعم؟ وإلى أي «واجب ومهمة» – للعودة إلى الكلمة التي استخدمها الأب جوساني في النص الذي استشهدنا به للتو –؟ يبدو لي أنه من المهم أن أخبر الجميع بوضوح وشافية، ونحن نبدأ هذه البادرة الأساسية في حياة الأخوية، ما هو جوهر المسؤولية التي كلفنا بها الروح القدس، من خلال سلطة الكنيسة، في هذه اللحظة من تاريخنا. أيضًا لأن الكثيرين قد سألوني في الأسابيع الأخيرة، أيضًا كتابيًا، لذا فمن الصواب أن نبدأ على الفور بمساعدة بعضنا البعض في النظر إلى هذه الخطوة.

باختصار، المطلوب منا هو أن نشارك، بشغف وبروح الطاعة البنوية في الآن ذاته، في تجديد الكنيسة في عصرنا. ففي نهاية التسعينيات من القرن الماضي، اعترفت الكنيسة رسميًا، في شخص البابا آنذاك القديس يوحنا بولس الثاني، بالمورد الأساسي الذي كانت وما زالت تمثله الحركات العلمانية لتجديد الكنيسة ورسالتها في العالم، لا سيما في سياق العالم الغربي المتعلمِن بشكل متزايد. في ٣٠ مايو ١٩٩٨ – الكثير منا يتذكر ذلك جيدًا – كان هناك تقريبًا جميع مؤسسي الحركات الكنسية الأكثر شهرة في ساحة القديس بطرس. الكثير منهم – ومن بينهم عزيزنا الأب جوساني – الذين ليسوا على قيد الحياة اليوم.

2 ٢ كور ١٢: ٩.

وفي مواكبة المرحلة الانتقالية الدقيقة للحركات من مرحلة التأسيس إلى المرحلة التالية – وهي مرحلة انتقالية لم يكن على حركتنا فقط القيام بها، بل جميع الحركات – تمكنت قيادة الكنيسة من اكتساب وعي أكثر نضوجاً سواء بالقيمة الكبرى
للمواهب التي تقدمها الحركات العلمانية للكنيسة جمعاء، أو بالتشذيب الذي تحتاجه هذه الحركات لتؤتي ثمارًا أكثر. النتيجة الأولى، وهي ليست نهائية بالتأكيد، لهذا العمل التأملي – هو عمل لم يبدأ بحبرية البابا فرنسيس، بل أثناء حبريّة البابا يوحنا بولس الثاني (يكفينا قراءة التقرير الهام للكاردينال جوزيف راتسينجر آنذاك) بمناسبة المؤتمر العالمي للحركات العلمانية في مايو ١٩٩٨) – كانت رسالة مجمع عقيدة الإيمان، Iuvenescit Ecclesia، (الكنيسة تتجدد) وثيقة يجب قراءتها والتأمل فيها أيضًا.
أعقب هذه الرسالة – كما نعلم جميعًا – المرسوم العام «الجمعيات الدولية للمؤمنين» وخطاب البابا فرانسيس الذي ألقاه في ١٦ سبتمبر من العام الماضي. إذن ، هل تطلب الكنيسة منا أن نصبح شيئًا مختلفًا عما كنا عليه دائمًا؟ لأن هذا سؤال طرحه العديد منا أو ربما يطرحونه. وهنا أريد الاجابة عليه. عندما تم التصديق على تعييني كرئيس للأخوية للسنوات القليلة المقبلة، قال لي الكاردينال كيفين فاريل: «أنتم تريدون أن تكونوا عامل التجديد هذا، إذن ساهموا في أن تكونوا عامل التجديد هذا من داخل الخبرة الكنسية بأكملها، جالبين معكم أصالة هويتكم أنتم؟ فهذا مهم جدًا، لأنكم إن أصبحتم شيئًا آخر غير ما أنتم عليه، فلن يهتم أحد، لا بكم ولا بغيركم، وبالتالي لن يتم بناء أي كنيسة».
لذلك لم يُطلب منا أكثر من أن نكون أنفسنا حتى النهاية، حاملين أصالتنا إلى حياة الكنيسة بأكملها، أكثر وأكثر، بهذا الوعي. وهذا ما تدعونا الكنيسة لقبوله اليوم. وهذا ما كتبه لنا الأب جوساني بعد اللقاء كبير لقداسة البابا مع الحركات الكنسية: «شكراً لكم أيها الأصدقاء! إن ما حدث يوم السبت ٣٠ مايو حدث لأنكم كنتم معاً هناك أيضًا. فقط الكل هو الذي يصنع. ففي الواقع، يوجد الله حيث توجد الوحدة. فيوم السبت، يوم اللقاء مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، كان بالنسبة لي أعظم يوم في تاريخنا، بفضل اعتراف البابا بحركتنا. لقد كانت "الصرخة" التي أعطاها لنا الله كشهادة على الوحدة، على وحدة الكنيسة جمعاء. وعلى الأقل هذا ما شعرتُ به: نحن وحدة واحدة. قلت هذا أيضًا لكيارا وكيكو اللذين كانا بجواري في ساحة القديس بطرس: في مناسبات كهذه، كيف لا يمكنك أن تهتف بوحدتنا؟ ثم أدركت للمرة الأولى حقيقة أننا من أجل الكنيسة، فنحن عامل يبني الكنيسة. فقد شعرت بأنني مأخوذ بأيدي وأصابع الله والمسيح التي تُشكِل التاريخ. هذه أزمنة بدأت أفهم فيها حقًا – وأكثر في يوم السبت – المسؤولية التي دعاني الله إليها. لم أفهم، لكن يوم السبت كان واضحًا. وهذه المسؤولية هي كذلك حيث يتم تبليغها للآخرين على وجه التحديد كمسؤولية.

وتصبح هذه المسؤولية حقيقية عندما تكون للكنيسة جمعاء وبالتالي للحركة كلها. عندما تكون طاعة لحقيقة أن – كما يقول القديس بولس – «فما مِنْ أحدٍ مِنَّا يَحيا لِنَفسِهِ، وما مِنْ أحدٍ يَموتُ لِنَفسِهِ. فإذا حَيينا فللرَّبِّ نَحيا، وإذا مُتنا فللرَّبِّ نَموتُ. وسَواء حَيينا أمْ مُتنا، فللرَّبِّ نَحنُ» (روم ١٤: ٧-٨). إن الله هو الذي يعمل في كل ما نفعله: فـ"الله هو الكل في الكل".

إن مسؤوليتنا هي من أجل الوحدة، إلى أن تصل إلى تقدير حتى أصغر شيء جيد في الآخر»[3].

أنا هنا معكم اليوم من أجل هذا. لقد قبِل الأب ماورو جوزيبي ليبوري، الرئيس العام للرهبان السيسترسيين أن يكون معنا اليوم لنفس السبب ونشكره على ذلك.

«المسيح، حياة الحياة» هو عنوان هذه الرياضة الروحية. لعلي أقول بأنه عنوان العناية الإلهية: من أين، في الواقع، يمكن أن يولد حماسنا للتاريخ الذي أستحوذ علينا، ومن أين يمكن أن تنبع كلمة نعم التي نحن مدعوون أن نقولها، إن لم تكن من النظر مجدداً إلى وجه المسيح، وإن لم تكن من تجديد الذات بتلك الدهشة التي بدأ منها كل شيء، والذي بدأ منها تاريخنا كله، أي دهشة إنسان، دهشة الأب لويجي جوساني، أمام الجسد، وأمام وجه إنسان آخر، يسوع الناصري الانسان؟

أود أن أضيف الإجابة الأخيرة وربما الأهم على السؤال المطروح في البداية: لماذا أنا هنا، لماذا نحن هنا؟ أنا هنا من أجلك أيها المسيح، حياة الحياة. نحن هنا من أجلك، نحن هنا لنتعرف عليك أكثر ولنتعرف عليك من جديد.

لذلك دعونا نستعد للاستماع إلى من سبقنا في هذا الطريق.

[3] الأب جوساني، «رسالة إلى الأخوية، ميلانو ٣ يونيو ١٩٩٨»، في نفس الرسالة، عمل الحركة. أخوية الشراكة والتحرر، سان باولو، تشيسيللو بالسامو - ميلانو ٢٠١١، الصفحات ٢٧١-٢٧٢.

مقدمة الأب

ماورو جوزيبي ليبوري

«نحتاج إلى شيء واحد فقط»

الصمت الذي يُصغي

«إن إتباع المسيح ومحبته في كل شيء هو ما يجب الاعتراف به كطابع رئيسي لمسيرتنا.»[4]
إن هذا التصريح الذي أدلى به الأب جوساني في الرسالة التي كتبها قبل عشرين عامًا إلى الأخوية، كرد فعل عاطفي على رسالة القديس يوحنا بولس الثاني بمناسبة الذكرى العشرين للأخوية نفسها، كان له صدى فوري في داخلي باعتباره أبسط وأشمل خلاصة للوعي بأن عملاً مثل الرياضة الروحية يدعونا إلى الاستيقاظ معًا من جديد. معاً! إن الرياضة الروحية ليست حديث فردي، حتى لو قادها أحد الرهبان. إن الأمر على العكس من ذلك: إذ يجب أن يكون الراهب تذكيرًا متواضعًا بالرغبة في الصمت، ووضع الصمت، وتذكيرًا متواضعًا بالوعي بأن الصمت يعني الاستماع، ويعني انفتاح، كما يقول القديس بنديكتوس في مقدمة قانون الرهبنة البنديكتية، «أُذن القلب». إذ يبدأ القديس بنديكتوس قانون الرهبنة كالتالي: «إصغي، يا بني، إلى وصايا المعلم، وأمِل أذن قلبك واقبله طواعيةً، ومارس عملياً [أي إختبر] النصائح التي تأتيك من آب كُلي الرحمة؛ لكي تعود بطاعة شاقة إلى الذي ابتعدت عنه بجمود العصيان». [5]
أولاً، الطاعة ليست شيء يجب القيام به. الطاعة هي قبل كل شيء استماع واصغاء، يصبح عملاً بالدرجة التي عشنا فيها الاستماع كإنفتاح يقظ ومخلص للقلب، «ذو ميل» كما يقول هنا القديس بنديكتوس، مثل المتسول الذي يطلب ما هو ضروري للعيش. فالصمت الذي يُصغي والذي يرغب في الحياة من آخر (الله)، إذا دخل الحياة بعمق، وإذا أفسح لنفسه مجالاً في الحياة، وفي الزمن، وفي الأشياء التي يجب القيام بها، وفي هموم الحياة وفي أفراحها وأحزانها، أي في الحياة برمتها، والصمت الذي يخترق الحياة ولو قليلاً، يصبح الطريق الرئيسي الذي من خلاله تتغلغل الحياة كلها في الصمت، أي أنها تُخترق بالاستماع والاصغاء، ونميل وننحني لطلب الحياة وقبولها. كما عبّرت سطور كليمنتي ريبورا الرائعة عن ذلك: «أنشودتي هي شعور/ أنهكه النهار / وساعات الليل: / وكانت تطلب الحياة». [6]

---

[4] الأب جوساني، «رسالة إلى الأخوية، ميلانو ٣ يونيو ١٩٩٨»، في نفس الرسالة، عمل الحركة. أخوية الشراكة والتحرر، نفس الكتاب السابق الذكر، صفحة ١٠.

[5] مقدمة قانون الرهبنة البنديكتية، ١-٢.

[6] كليمنتي ريبورا، «القصيدة الثانية والسبعين. أنا المحراث لأحرث الأرض»، شذرات غنائية - ١٩١٣، من القصائد، جارزانتي، ميلانو ١٩٨٨، صفحة ١٢٣.

لكن الصمت المطلوب منا هذه الأيام لا يجب أن ينهكنا. بل بالأحرى، يجب أن يريحنا من الاضطراب والفوضى ومن بلبلة البحث ومن اندفاع التظاهر والادعاء، نخدر فيه نقاء رغبة القلب العميقة والحقيقية التي هي رغبة بسيطة كرغبة طفل لا تتلوث بادعائنا عن أنفسنا وعن الآخرين وعن الكنيسة وعن المسؤولين وعن أولئك الذين ليسوا كذلك، ولا تلوث بادعائنا الاحتياج الحقيقي الذي في داخلنا، والاحتياج الحقيقي للجميع ولكل المواقف التي تتكشف فيها الحياة والتاريخ، بما في ذلك تاريخ أخوية، أو تاريخ رهبنة مثل رهبنتي، وكذلك كل المؤسسات الكنسية.

لنطلب هنا من سيدتنا العذراء مريم قبل كل شيء هذا الصمت الحقيقي وهذه الرغبة الحقيقية، لأن قلبها كان خاليًا من كل وصمة خطيئة ومن كل شهوة للخطيئة الأصلية، أي بالأحرى قبول معنى الحياة وامتلائها بدلاً من امتلاكه والاستحواذ الذاتي عليه. لقد عاش قلب مريم هذه الرغبة دائمًا في كل شيء. ففي داخلها كان طلب كل شيء أمراً تلقائيًا، حتى بدون كلمات، لأن الطلب، والرغبة في الحياة كان هو النبض المستمر لقلبها الطاهر. أما بالنسبة لنا الأمر ليس كذلك. إذ نحتاج على الأقل إلى لحظة من الوعي بأن الأمر ليس كذلك. لحظة إدراك أن الصمت الذي يصغي برغبة القلب ليس موجودًا، فهو مشتت للغاية ومتشبع بأشياء أخرى وتصم آذانه ضوضاء أخرى كثيرة. لكن لكي نخلق فينا الصمت الذي يطلب ويستجدي، ففي نهاية الأمر تكفينا لحظة إدراك لتشتت انتباهنا وسطحيتنا، فلتكن لحظة ألم أو ارتباك أو مذلة، كما حدث مع مارثا عندما شعرت بتوبيخ يسوع لها لأنه كان فيها الكثير من الضوضاء والقلق والإدعاء، ومعرفة مفرطة «بما هو ضروري». هذا هو لُب الموضوع! إننا نفتقر إلى الصمت ونفتقر إلى الاصغاء وإلى الرغبة عندما يهيمن علينا الادعاء والزعم بالمعرفة المسبقة بما هو ضروري، والادعاء والزعم بأننا نعيش بالفعل ما هو ضروري وما هو كافٍ لنا، وما يكفيني وما يكفي الجميع، أو ربما ما يكفيني أنا بدون الجميع، أو ما يكفي الجميع بدوني.

الاصغاء هو الاحتياج الوحيد

الصمت لا يعني إعادة الحياة إلى نقطة البداية. إن هذا لا يحدث أبداً في نهاية الأمر. إذا طلب منا المسيح، في نهاية الزمان، إعطاؤه حساباً لكل ما فعلناه أو لم نفعله بأحد إخوته وأخواته الصغار، فحتى شعر رؤوسنا معدود بالكامل، وحتى إعطاء كوب ماء لن يُنسى في السماء، وإن تم الحُكم على كل كلمة نقولها. حسنًا، إننا لا نستطيع الدخول في الصمت بنسيان الحياة. لكن الحياة، رغم اضطراباتها وفوضويتها، تدخل في حالة صمت عندما تُصغي إلى ما هو ضروري لها وعندما تسمح لنفسها أن تقول، كما فعلت مرتا في ذلك اليوم، أن «هناك شيئًا واحدًا فقط ضروريًا»، وأن هناك فقط «الجزء الأفضل» الذي لا يُنتزع أبداً: «مَرتا، مَرتا، أنتِ تقلَقينَ وتَهتمِّينَ بأُمورٍ كثيرةٍ، معَ أنَّ الحاجَةَ إلى شيءٍ واحدٍ. فمَريَمُ اَختارَتِ النَّصيبَ الأفضَلَ، ولن يَنزعَهُ أحَدٌ مِنها». [7]

[7] لو ١٠: ٤١ - ٤٢.

علينا أن نعيش صمت هذه الأيام، على الأقل كقصد ونية، وكرغبة، كما لو أن مرتا، بعد نداء يسوع، بقيت هناك، دون أن تقول شيء، متأثرة ومجروحة بهذه الكلمة. وهكذا عادت إلى الموقد وإلى الأطعمة التي كانت تقوم بطهيها، وإلى الأواني التي كانت تضعها على المائدة، وإلى خدمة جميع الضيوف الذين أتوا مع يسوع لغزو منزلها. إنها لم تعد إلى عملها كالكلب المضروب. لأن يسوع لا يضرب أحداً. إن يسوع يعلن ويعلم ويكشف عن ذاته وعندما يفعل ذلك يكشفنا لأنفسنا. لقد عادت مرتا إلى المطبخ وهي مجروحة بالطبع، لكنها شعرت على الفور في داخلها أن هذا الجرح مفيد لها، بقطع خُراج وتنظيفه وتطهيرها من عدوى سممت قلبها وحياتها وعلاقاتها، وحتى علاقتها بالله و بيسوع، صديق أسرتها العظيم. كان هناك شيء خاطئ فيها جعلها تغضب حتى من يسوع، وهو شيء لم تريده أو تتصوره مطلقاً، قبل ذلك المساء وقبل ذلك المشهد.

دعونا نبحث عنه وندعه يُدخِل إلينا صمت مرتا وإصغائها، «النصيب الأفضل» الذي اختارته مرتا في ذلك المساء أيضًا، ربما بحزن في البداية وربما مع رغبة في الصراخ أكثر من ذي قبل، خارجةً وهي تغلق الباب بعنف. لكن على العكس من ذلك، تبقى صامتة. وتدع كلمة يسوع تعمل في داخلها مثل المحراث الذي يجعل أرض القلب مثمرة، قادرة على قبول البذرة وعلى أن تُؤتي بثمار.

نحن بحاجة إلى صمت مرتا، ليس فقط بشكل فردي، ولكن أيضًا كجماعة وكأخوية وككنيسة. نحن بحاجة إليه حتى تصبح حياتنا وحياة الجماعة وحياة الكنيسة خصبة بما يقوله المسيح وما يريده وبما هو المسيح، كلمة الله. إننا نحتاج إلى صمت مرتا لقبول حضور المسيح حتى نهاية حياتنا، الذي وصلنا بالفعل إلى درجة البقاء هناك في منزلنا للتحدث والتواجد هناك في انتظار تناول العشاء معنا، وانتظار مشاركتنا في تناول الطعام الذي نقوم بطهيه له وقضاء الليل في منزلنا، لأنه يحتاج إلى الراحة، وهو صديقنا، يحبنا كثيرًا، ويقدر صحبتنا كثيرًا، لدرجة أنه اختار منزلنا وحياتنا وقلبنا ليرتاح أثناء عمل رسالته لخلاص العالم كله، في سياق مجيئه من الآب والعودة إليه بتجسده لفداء البشرية جمعاء! يأتي ليرتاح بمنزلي! هل تفهمون عظمة هذا الأمر؟!

بيت الصداقة مع المسيح

هناك بيت في ترنيمة باللغة اللاتينية لذكرى القديسة مرتا يتردد صداه دائماً في داخلي. في الواقع هو صلاة لها كي تشاركنا صداقتها مع المسيح: «ايتها المضيفة السعيدة للمعلم، / لتجعلي قلوبنا متأججة، / حتى تكون دائماً له / بيتًا للصداقة الممتنة». [8]

وعندما تجسد ابن الله، أتى ليدعوا قلوبنا كي تكون له «بيت صداقة».

[8] «٢٩ يوليو. ذكرى القديسين مرتا ومريم ولعازر، مضيفو الرب - ترنيمة صلاة الغروب»، كتاب صلوات الرهبان

وهذا ليس في قلب مريم أمه فقط، بل في كل قلب بشري وصل إليه حضوره ومحبته، وكذلك قلب الخطاة، مثل قلب زكا العشار الذي دعاه يسوع للترحيب به في منزله حتى يرحب به في قلبه الذي امتلأ فرحاً عندما أتى المسيح إلى بيته، ثم أعلن توبته وفي النهاية كشف عن محبته التي لم تهب أمواله للفقراء وإلى الذين نهبهم فقط، بل أيضاً بالعرفان للمسيح الذي أتى لزيارته هو بالتحديد وفي منزله هو، «للبحث عن وخلاص ما قد فُقِد».[9]

إننا نحتاج إلى صمت مرتا لنعيش هذه الخبرة، أو بالأحرى: هذه النعمة، حدث الله هذا الذي يأتي ليجعل حياتنا بيت صداقته. وعلينا أن نكون في صمت للاصغاء إلى هذا العرض بالحضور الذي يقدمه لنا المعلم.

جوهر الموضوع

لكن ماذا يقول لنا المسيح؟ أتمنى أن نصغي إليه هذه الأيام، وأتمنى وأطلب ذلك لي ولكم، كما أتمنى أن تطلبوا ذلك أيضًا من أجلي ومن أجلكم جميعًا. لكن هذا المساء، ونحن لا نزال نفكر فيما حدث مع مرتا، دعونا نفكر في الكلمة التي تأملتها في صمتها، والتي ملأتها بالصمت والتي ملئت صمتها: «مَرتا، مَرتا، أنتِ تقلَقينَ وتَهتمِّينَ بأُمورٍ كثيرةٍ، معَ أنَّ الحاجَةَ إلى شيءٍ واحدٍ. فمَريَمُ اَختارَتِ النَّصيبَ الأفضَلَ، ولن يَنزعَهُ أحَدٌ مِنها».[10]

ربما – كما قلت – في البداية تأملت مارثا في تلك الكلمات، مُركزة على اللوم الذي أدركته في كلمات المسيح لها: « إهدئي يا مرتا، فأنت متوترة بسبب الكثيرمن الأشياء ولا تزعجي أختك، ودعي علاقتها معي تعلمك أنتِ يا من تعتقدين دائمًا وقبل كل شيء أنه لابد أن تكوني الأفضل التي لا غنى عنها ...». ربما في البداية فكرت في ذلك بامتعاض وحزن. لكن هذا لم يفعل شيء سوى التأكيد على ما قاله يسوع ، أي: إزدياد توترها وهياجها. فتركيزها فقط على هذه الأشياء جعلها أكثر قلقاً وهياجًا.

ونحن أيضًا، عندما يصلنا حُكم أو نظرة تكشف عن وضع غيرمناسب في حياتنا، حُكم يصححنا، الذي غالبًا ما يكون غيرواضح لنا من حيث المبدأ، وبالتالي من الطبيعي أن نتألم من الجرح الذي ربما نخدشه. لكن الأمر يشبه تلقي حُقنة لقاح. هناك جرح و ألم في الكتف وهناك أعراض قليلة، لكن الغرض من الحقن ليس هذا، وليس هو الثقب الذي تصنعه في جلدنا أو الورم الذي يتشكل حوله. ماذا حقن يسوع في مرتا وهو يجرحها ظاهرياً ويجرح حبها لذاتها؟ ما هو الخير الذي استطاعت مرتا إدراكه تدريجياً بعد تلك الحُقنة التي ألمتها؟ وما هي الكلمات التي كان من الممكن أن تفيدها وتهدئها وتعزيها وتجعلها أكثر سعادة تدريجيًا بفرح جديد لم يأتي منها، بل من كلمات يسوع؟

[9] لو ١٩: ١٠.

[10] لو١٠: ٤١-٤٢.

فإذا استبعدنا مما قاله يسوع لمرتا الكلمات عنها أو عن أختها، فأي جوهر يبقى؟ يبقى الجوهر: «هناك شيء واحد فقط ضروري» ، «هناك شيء واحد فقط نحتاجه».[11]
هذه هي الكلمة التي كان يسوع حريصًا على أن تدخل فيها، كي تتأملها وتستوعبها، حتى تأتي بالخير لها ولحياتها وتشفيها، وتخلصها، وتحفظها من التبدد. إن معنى هذه الكلمة ليس قليلاً من النظافة النفسية أو الروحية، أو دعوة للالتزام بتنظيم حياتها، بدءًا بطبعها الذي يحتاج إلى ترويض. فمعنى هذه الكلمة هو المسيح نفسه، معنى المسيح بالنسبة لمرتا، وعطية المسيح لمرتا، التي هي بالفعل عطية مشتركة حتى قبل أن تدركها مرتا. معنى هذه الكلمة هو أن يسوع وحده هو الذي يستجيب للرغبة الأساسية للقلب وللحياة: الرغبة في الوحدة، والرغبة في إيجاد معنى يجمع كل شيء معًا، ويجمعنا جميعًا معًا، ويخلص «وحدتنا» التي تحتضن كل شيء وكل شخص، ونشعر فيها باحتضاننا من كل شيء وكل انسان، واحتضاننا من الله الذي هو كل شيء في كل شيء، اوهو الآب، وهو المسيح، المسيح الذي هو تجسد رحمة الآب وبالتالي تجسد احتضان الآب الصالح، الذي يرحب بعودة الابن الضال بفرح لا حدود له.

كنز نشترك فيه بالفعل

«شيء واحد فقط هو الضروري» – «إننا نحتاج إلى شيء واحد فقط».
كما قلت، يقدم يسوع لمرتا هذه الكلمة التي يختصرها في الشيء الوحيد الضروري وهو يسوع نفسه، كهبة متاحة بالفعل ومُشارك بها، كهبة يقدمها للجميع. وأختها مريم ترحب به بالفعل، وربما أيضاً أخوها لعازر، والتلاميذ الذين جاءوا معه ليملئوا منزلها. وتمت المشاركة بالفعل في هذه الهبة مع جميع الذين قبلوها بالفعل، من العذراء مريم إلى مرتا. وتمت المشاركة فيها بالفعل مع يوحنا المعمدان وأليصابات ويوسف، ورعاة بيت لحم، وسمعان وحنة والمجوس ومنذ بعض الوقت مع أندراوس ويوحنا وبطرس وفيليبس ونثنائيل، ومتى جابي الضرائب، ثم مريم المجدلية والنساء الأخريات اللائي كن يتبعن الرب ويخدمونه بالفعل. وليس ذلك فقط: لقد تم تقاسمها بالفعل مع الآلاف من الناس، ومع الفريسيين ومع جُباة الضرائب، ومع البغايا، والمرضى من جميع الأنواع والمقيدين من الشياطين. وتم مشاركتها بالفعل مع الأطفال الذين قفزوا على ركبتي يسوع. وكان هناك بالفعل أناس كاملون شاركوا الشيء الوحيد الضروري الذي قدمه يسوع الآن لمرتا.
وماذا عنك وماذا عني؟ عندما تصل إلينا هذه الكلمة ، وعندما تصل إلينا وتستمر في الوصول إلينا مرارًا وتكرارًا ، دائمًا ما تكون جديدة ، فكر مع عدد هائل من الأشخاص الذين نشاركها معهم بالفعل. ألفي سنة من المسيحية ، من قديسين وخطاة، وخطاة قدّيسين.

[11] لو ١٠: ٤٢.

لكنها ليست مسألة أرقام ... إذ يتطلب الأمر شخصين أو ثلاثة يكتشفون أنهم يشاركون أن المسيح هو الاجابة الوحيدة والشاملة والكونية لحاجة قلب الإنسان لنمتلئ بالدهشة، بدهشة حدوث هذا الوعي فينا وفي كل واحد منا ولي! لنا نحن الذين بالتأكيد لا نستحق ذلك أكثر من بلايين الأشخاص الآخرين الذين لم يحدث لهم ذلك بعد. يا لها من دهشة ويا لها من مسؤولية! يا له من امتنان وانسحاق للقلب! لأنه إذا كنت من جديد في منزلك حيث يأكل ويشرب معك، جالسًا تمامًا حيث تجلس أنت وإخوتك لتناول الطعام وللدردشة كل يوم، وإذا كنت في منزلك مع الحقيقة الوحيدة والوجود الوحيد الذي يحتاجه كل قلب بشري، ويحتاجه في هذه اللحظة بالذات قلوب ٨ مليار إنسان تنبض على هذه الأرض .. كيف يمكنك أن لا تشعر بدوار المسؤولية ؟! لأنك تصبح بطريقة أو بأخرى مديونًا للبشرية جمعاء من أجل ما أُعطي لك مجاناً وهو الذي ينتظره جميع البشر!.

احتضان المسيح الآن

لكن لا يجب علينا التفكير في ذلك الآن. وهذا يعني أننا يجب ألا نفكر الآن في من الذي تمتد إليه هذه الحقيقة (المسيح). الآن يجب أن نفكر في الحقيقة ذاتها (المسيح)، لأنها موجودة هنا، وإذا لم أقبلها، وإذا لم أفتح ذاتي، فلا فائدة لي من القلق بشأن الاحتياج العالمي الذي ينتظر هذه الحقيقة (المسيح). فقد أدرك سمعان الشيخ على الفور أن ذلك الطفل كان «عَينايَ رأتا الخَلاصَ. الّذي هيَّأْتَهُ لِلشُعوبِ كُلِّها . نورًا لِهدايةِ الأُممِ ومَجدًا لشَعبِكَ إسرائيَل»،[12] لكنه فعل ذلك بأخذ ذلك الطفل بين ذراعيه، وضمه إليه.

يجب علينا بعد ذلك أن نفهم، وأن نساعد بعضا البعض على فهم، كيف لهذه الكلمة التي قالها يسوع لمرتا أن تأتي لتخلصنا الآن، وتخلص كل واحد منا الآن، في الوضع الذي نجد أنفسنا فيه اليوم والآن، وتخلص حياة كل واحد منا وحياة الجماعات، والأخوّية، والرهبانيّات، والكنيسة والعالم.

لنضع أنفسنا في مكان مرتا، ذلك اليوم، ذلك المساء. ودعونا نفكر كيف انسحبت من هناك، إلى الموقد حيث كانت تقوم بطهي الطعام؛ ودعونا نفكر كيف احتاجت إلى الانسحاب بهذه الكلمة التي جرحتها. قُلتُ في البداية أنه ربما كان عليها تُهدئ من غضبها لأن يسوع لم يستمع إليها ويفهمها. على الأقل: كان هذا هو الانطباع النفسي والعاطفي الذي غزاها في تلك اللحظة وملأها بالحزن. قبل ذلك، كان بإمكانها على الأقل أن تنتقد، كما فعلت دائمًا، وكان هذا متنفس لغضبها، ويحررها من مزاجها السيئ ويُشعِرُها بالراحة. ثم عادت إلى مهامها المنزلية، مدركة تمامًا أن احتدامها وغضبها لن يغير شيئًا، وأن أختها ستواصل ما كانت تفعله من قبل، وكما هو الحال دائمًا. لكنها على الأقل، قد نفست عن غضبها، وأمكنها أن تقول لنفسها إنها قالت ما تعتقده، حتى لو لم تكن تعني دائمًا ما قالته ...

[12] لو ٢: ٣٠-٣٢.

وتأججت نيران الغضب هذه المرة، فقد جعلها يسوع تنفجر في داخلها. وأصبحت كأنها تعيش في باطن الأرض، لذلك بدلاً من نشر شظايا وإشعاعات (غضبها) لآلاف الكيلومترات، قامت طاقة (غضبها) الذرية بغزو جميع أعماق باطن أرض إنسانيتها.
في الواقع، بدأت مرتا تُدرِك أن كلمة يسوع كشفت لها ذاتها. ليس بشكل سطحي، وليس لأنها كانت قلقة، و ليس لطموحها في ترك انطباع جيد دائمًا لدى الآخرين، وأن تكون لها الهيمنة في جميع المواقف، وبالتالي على جميع الأطراف الفاعلة في المواقف التي كانت تعيشها. إنها كانت تعرف كل ذلك، وربما أشار أخويها بذلك لها بالفعل آلاف المرات. لا، فقد كشفت كلمة يسوع عن قلبها، الذي يختلف كثيرًا، وأعمق بكثير من نفسيتها السطحية، ومن طبعها ومِزاجها. و من ناحية أخرى، هي عرفت أن يسوع يحب مِزاجها، فهو كان ينظر دائمًا إلى مِزاجها بتعاطف، وربما كان يمزح حول ذلك، وهي كانت تتظاهر بأنها تعرضت للاهانة، لكنها كانت تشمت بأن الرب كان يسخر منها، لأنه بهذه الطريقة كانت تشعر بمودته وفهمه لها واحتضانه إياها. وإلا لما كان يسوع يتردد على ذلك المنزل كثيرًا والذي تهيمن عليه مرتا لدرجة أن الإنجيل لا يقول أن لعازر أو مريم قاما بضيافة يسوع، بل مرتا.[13]

القلب هو احتياج للمسيح

ما هو القلب؟ عندما يقول يسوع أن شيئًا واحدًا فقط هو الضروري، علينا أن ندرك أن كلمة «ضروري» تترجِم مصطلحًا يونانيًا يعني في حد ذاته «إحتياج» و«عوز» و«نقص». ففي الواقع، تقول الترجمة الجديدة: «هناك إحتياج إلى شيء واحد فقط». فعندما نقول أن شيئًا ما ضروري، فإننا نفكر قبل كل شيء في قيمة هذا الشيء، وأنه شيء هام، وأحيانًا يكون إمتلاكه أمراً حيويًا. لكننا غالبًا لا نفكر في حقيقة أن ضرورة هذا الشيء يحدده إحتياجنا، أو إفتقارنا له. فالضرورة المطلقة للمسيح بالنسبة لنا لها «تعريف» غامض وسري، وهو فينا، والذي هو نحن، هو قلبنا الذي يحتاج إليه فقط، والذي ينقصه وحده. وبدون وعي لأنفسنا كإحتياج، لا يمكننا أن نقبل بصدق هبة المسيح، اللقاء الذي يكشف فيه المسيح عن ذاته لنا، مثلما حدث لمرتا، فهو الضروري الوحيد لقلب الانسان، وهو الوحيد الذي نحتاجه حقًا، ونحن إحتياج له.
كيف يمكننا عدم ذكر المقطع العظيم لماريو لوزي الذي تأملنا فيه أثناء لقاء ريميني عام ٢٠١٥ : «من ماذا هذا النقص / أيها القلب / الذي فجأة / أنت ممتلئ به ؟».[14]
في ذلك المساء، عاشت مرتا هذه الخبرة، وشعرت بأنها ممتلئة بهذا السؤال الذي يطرحه القلب على نفسه. فقلبنا هو سؤال يطرح نفسه على نفسه ، وسؤال يملأنا بالدهشة أولاً وقبل كل شيء كسؤال، وكنقص.

[13] لو ١٠: ٣٨.

[14] ماريو لوزي، « من ماذا هذا النقص ...»، جنس تحت إنساني، جاردزانتي، ميلانو ١٩٩٩، ص ١٩٩. أنظر أيضاً الأب ماورو جوزيبي ليبوري، هل نعيش فقط لنموت؟، كانتاجالي، سيينا ٢٠١٦، الصفحات ١١٧ وما بعدها.

«ولكن كيف؟ – نقول لقلبنا – أنا أعطيك كل شيء، وأملئك بالكثير من الأشياء، وبالكثير من الرغبات والشهوات والكثير من المخاوف، والكثير من الغرور والمزاعم، والكثير من الأحكام والتحيزات المسبقة، وبالكثير من الأفكار العبقرية وبكثير من الهُراءات ... كيف يمكنك إحتياح شيء آخر؛ كيف يمكن لشيء آخر أن يملأك؟! كيف يمكنك أن تملأ نفسك بفراغ، وبنقص، وباحتياج كبير، ومتغطرس إلى درجة تضع فجأة كل شيء آخر في مأزق! وكأن باقي الأشياء كان مجرد مظهر وشبح وسراب ونفاية. كان يبدو لي أن كل شيء آخر كان هاماً جدًا! فكيف يحدث فجأةً، مثل ضربة سيف، أن تأتيك الرغبة في الامتلاء بشيء آخر؟!».

وفي انتظار هذا اللقاء، استمعنا إلى قداس القديس يوحنا الذهبي الفم، المقطوعة الموسيقية رقم ٣١، من تلحين سيرجي رحمانينوف. وفي تعليق الأب جوساني على سلسلة Spirto Gentil (الروح اللطيف)، يسلط الضوء على المقطع الذي سمعناه قبل وقت قصير من بدء هذا اللقاء، والذي يكرر فيه الملحن لمدة ثماني دقائق «Gospodi pomiluj! – يارب ارحم!». ويكتب: «لماذا يا أخي رحمانينوف، تجعلنا نكرر، لمدة ثماني دقائق، يارب ارحم؟ لأن عصرنا لم يكن له معنى، ولم يكن له المعنى الذي كان يمكن أن يكون له، وفشل في ذلك المعنى الشامل الذي يُسمى المصير، فقد «نسي» تماماً. والمصير لم يكن حضوراً قد شَكل شيئًا، ولم يؤثر على شيء، وكل شيء جاء فينا من الغريزة، من التراخي الذي منعنا من الحركة، ومن الانزعاج أو الاستياء الذي يُهبِط الأرض ويُنزِل الغضب في أعماق أنفسنا، ويخلق دوامة مريرة ترى فيها الغضب في داخلك، حتى لو لم يكن صريحًا ومُعبرًا عنه». [15]

يبدو لي أن هذا هو بالضبط نقطة الوعي التي وصلت إليها مرتا ذلك المساء. لكن هناك بالتحديد قد بلغها المصير إلى أعماق قلبها وإلى «الدوامة المُرة» في قلبها الذي اخترقه الانزعاج والاستياء والغضب.

اللقاء الذي يكشف الرغبة

لكن لم يكن سؤال القلب هذا لذاته، و وعي القلب هذا كسؤال المسيح، والقلب كجرح لا يمكن أن يخفف ألمه ويشفيه إلا المسيح، ولم يكن كل هذا قد ظهر في ذهن مرتا فجأة بدون حدوث شيء ما. فقد وُلِد هذا الوعي في مرتا لأنها التقت بيسوع في ذلك المساء. ربما كانت تعرفه لفترة طويلة، وربما استضافته مرات عديدة أخرى، وربما سمعت عنه من أختها التي ربما التقت به قبلها والتي ربما كانت الخاطئة التي غسلت قدمي يسوع بدموعها وقد نالت المغفرة عن خطاياها لأنها أحبت كثيرًا. [16]

[15] الأب لويجي جوساني، «حتى يكون فرحكم كاملاً»، في سلسلة الروح اللطيف. دعوة للاستماع إلى الموسيقى العظيمة بارشاد الأب لويجي جوساني، من إعداد ساندرو كييريتشي وسيلفيا جامباولو، بور، ميلانو ٢٠١١، الصفحات ٣٦١ - ٣٦٢.

[16] لو ٧: ٣٦-٥٠.

وكانت تعرفه وكانا يتقابلان ويُقدر كل منهما الآخر، لكن مرتا لم تكن قد قابلت يسوع بعد. وكما يقول الأب جوساني في الفقرة التي اقترحت موضوع هذه الرياضة الروحية، في بذل الانسان لحياته من أجل عمل آخر، في الصفحة ٦٣ : «المسيح، هذا هو الاسم الذي يشيرإلى ويحدد الواقع الذي التقيت به في حياتي. فقد إلتقيت به: وسمعت عنه لأول مرة عندما كنت طفلاً وعندما كنت صبياً، إلى آخره... ويمكن للانسان أن يكبروهذه الكلمة معروفة جيدًا، ولكن بالنسبة للعديد من الأشخاص، لم يتم اللقاء به واختباره حقًا على أنه حاضر؛ في حين أن المسيح صادف حياتي، وصادفت حياتي المسيح على وجه التحديد حتى أتعلم لفهم كيف هو مركز كل شيء، في حياتي كلها. إن حياة حياتي هي المسيح. إذ يتلخص كل ما أتمناه، وكل ما أسعى إليه، وكل ما أضحي به، وكل ما بداخلي يتطور من الحب للأشخاص الذين وضعني معهم».[17]

بالنسبة لمرتا، حدث اللقاء مع المسيح في ذلك اليوم، ذلك المساء، وكان اللقاء حدثًا. ويصف لنا الإنجيل في الحوار الذي دار بين مرتا ويسوع تلك القفزة في الوعي التي تحدد اللقاء الحقيقي مع يسوع المسيح. إذ يحدث اللقاء الذي يغير الحياة مع المسيح عندما يقف رجل أو إمرأة أمامه كما هو أو كما هي، بكل الانسانية التي تحددهما، سواء بالخير والشر، وبغض النظر عن أي شيء. ولا يهم إن كان هناك خيرأكثر أم شر أكثر، ولا يهم حتى لو كان هناك شر فقط، فالمهم هو أن يجد الانسان نفسه كما هو في ذاته أمامه في حضوره. ويمكن للمرء أن يكون نقيًا مثل العذراء مريم، أو الوغد مثل زكا واللص الطيب، أو امرأة تعيش حياة فوضوية مثل المرأة السامرية، أو فظاً ذو قلب من ذهب مثل بطرس، أو مُفكر ديني رفيع المستوى مثل نيقوديموس، أو فريسي متعصب وعنيف مثل بولس ... لا يهم! فاللقاء يحدث عندما يقف أمامه رجل وامرأة كما هما، وفي تلك اللحظة ينجح يسوع في إدخال إعلان عظيم إلى قلب هذا الانسان، ولو عن طريق الهمس، وربما بنظرة فقط والذي تنتظره الحياة كلها: «أنا فقط الضروري لك!». فأنت محتاج لي أنا فقط! فأنا الامتلاء الذي يتعطش له قلبك!».

وهناك، حقًا، «Abyssus Abyssum Invocat – الهاوية تنادي الهاوية»، كما يقول المزمور ٤١،[18] إذ ينادي الله بغمر رحمته، مستجيباً لقلب الإنسان في هاوية بؤسه.

وقد عاشت مرتا اللقاء مع المسيح في ذلك اليوم لأن قلبها انثقب في نفس الوقت الذي أدركت فيه غرورها وخوائها وتفاجئت بأن مِلءْ هذا الفراغ كان هناك، وقد منحها يسوع إياه. هذا المساء، يجب على كل واحد منا وعلينا جميعاً، البدء من هناك، بقبول كلمة يسوع إلى مرتا، أو نظرة يسوع إلى بطرس – فهي نفس الشيء، لأن الأمر يتعلق دائمًا وفقط بحدث لقاء الذي يتأكد، ويتأكد من جديد مرارًا وتكرارًا بإعتباره الشيء الوحيد الذي يحتاجه القلب، وقلبنا وقلب كل إنسان.

[17] الأب لويجي جوساني، كتاب «بذل الحياة من أجل عمل آخر»، بور، ميلانو ٢٠٢١، صفحة ٦٣.

[18] مز ٤٢ (٤١): ٨

أدعوكم لتعيشوا مجددًا في حياتكم، وفي قلوبكم، وفي وعي ذاتكم، وفي الصمت الذي يمكنكم أن تقدمونه بطريقة جيدة أو سيئة، أدعوكم لتعيشوا مجدداً هذا الحوار الذي دار بين مرتا ويسوع في إنجيل لوقا ١٠: ٣٨ – ٤٢. وأدعوكم جميعًا للذهاب للشكوى إلى يسوع حول كل ما تشكون منه، حول نفسكم، وحول من يعيش معكم، الزوج، والزوجة، الأبناء، وحول عملكم، وصحتكم، وجماعتكم، وأخويتكم، وحول الحركة، والكنيسة، والعالم أجمع ... وبعد ذلك أدعوكم إلى أن تدعوا المسيح ينظر إليكم ويقول لكم الكلمات التي تريدونها والكلمات التي قابلكم بها ذات يوم بأن القلب يحتاج إلى شيء واحد فقط: يحتاجه حاضرًا. لندع المسيح ينادينا بأسمائنا مثل مرتا، وإبراهيم، وموسى، أو شاول الطرسوسي، مع تكرار اسمنا مرتين، لندرك من جديد اهتمامه بنا على وجه التحديد، وبي شخصيًا، والذي ينظر به المسيح إلينا وينادينا به. وأدعوكم لتدركوا ما يحدث فيكم وفي علاقتكم مع كل ما تشتكون منه، وحتى عن حق. أي أدعوكم لاكتشاف، أو لإعادة اكتشاف، كيف تتغير الحياة، وكل أشكالها، في ضوء نظرته ونعمة إدراكنا أن قلبنا يحتاج إليه هو فقط.

غدًا سننطلق مجدداً من هناك لنستأنف معًا مسيرة اتّباعه، بإحياء الوعي بملء الانسانية التي يريد المسيح أن يقودنا إليها.

لنتلوا معاً الآن صلاة «أذكري يا مريم البتول».

صباح السبت ٣٠ إبريل ٢٠٢٢

موسيقى الدخول والخروج:
يوهان سباستيان باخ، أؤمن، القداس بمقام سي مينوري، بي دبليو ڤي ٢٣٢
كارل ريختر– مونشينر باخ بالكورال والأوركسترا العالمية (من أرشيف الانتاج الموسيقي)

صلاة التبشير الملائكي

صوات التسابيح الصباحية

التأمل الأول
للأب ماورو جوزيبي ليبوري

الولادة من اللقاء و النمو في الاتباع

«لقد صادف المسيح حياتي، وصادفت حياتي المسيح على وجه التحديد حتى أستطيع أن أتعلم كيف أفهم وأعي كيف أنه هو المركز العصبي لكل شيء ولحياتي كلها. إن المسيح هو حياة حياتي. ففيه يكمُن كل ما أريد، وكل ما أسعى إليه وكل ما أضحي به، وكل ما يتطور بداخلي بحب الأشخاص الذين وضعني معهم. إذ قال الأب جوساني [...] المسيح هو حياة الحياة وهو اليقين بالمصير السعيد وهو صحبة في الحياة اليومية و صحبة مألوفة تحول كل شيء إلى خير: وهذا يمثل فعاليته وتأثيره في حياتي». [19]

اللقاء هو ولادة

في مساء لقائي بالمسيح ، ٢٥ فبراير ١٩٧٦، عندما دخلت إلى منزل عائلة من مهاجري فريولي (شمال شرق إيطاليا) المنتمين لحركة الشراكة والتحرر في بلدتي القريبة من لوجانو (سويسرا) – الأب يعمل نجار (مثل القديس يوسف)، وزوجته التي بعد مرور ثلاثة سنوات فقط انتقلت الى السماء، كانت مليئة بالايمان والفرح في المسيح الذي يحقق الحياة، وأبنائهم الثلاثة –، في ذلك المساء، وخلال ساعتين، استولى علي حزن عميق في البداية، ثم فرحة لم أختبرها في حياتي من قبل.

[19] الأب لويجي جوساني، بذل الحياة من أجل عمل آخر، كتاب سبق ذكره، ص ٦٣.

كما يكتب الأب جوساني، لقد سمعت عن يسوع منذ سن مبكرة، وكنت في سن السابعة عشرة تقريبًا، وظللت كاثوليكية بدون شكوك معينة في الإيمان أو الأخلاق، ولكن، كما يقول الأب جوساني دائمًا: «يمكنك أن تصبح عظيماً وهذه الكلمة معروفة، لكن الكثير من الناس لم يلتقون به، ولم يختبرونه في الواقع كانسان حاضر بينهم».[20]

هذه هي المشكلة، المشكلة الحقيقية للحياة، وللحياة المسيحية، ولحياة الكنيسة، ولرسالة الكنيسة. إذا لم نُقابل المسيح ، ولم نختبر حضوره حقًا، و يبدو الأمر كما لو أنه لم يكن موجودًا، ويبدو الأمر كما لو أنه لا معنى لوجود الكنيسة.

في ذلك المساء، وفي ذلك المنزل ومع هؤلاء الأشخاص، صار هناك معنى لكل حياتي، ولكل إيماني ولعائلتي الكاثوليكية ولرعيتي ولكهنتها ولمعلمي التعليم المسيحي ولشبيبة الكشافة، باختصار، وللكنيسة جمعاء التي أنتمي إليها منذ ولادتي. وحدث كل شيء بشكل أساسي في قلبي، الغير راضٍ بالتأكيد ولكن ليس مدركًا تمامًا لطبيعة عدم رضاه (حتى مرتا كانت بالفعل غير راضية عندما اشتكت من أختها والأعمال المنزلية التي كان عليها القيام بها بمفردها!)، حدث كل شيء بين قلبي غير الراضي ودليل الحضور الذي قال لي أيضًا: «ماورو، ماورو، أنظر، إنك فقط محتاج لي! فأنا هنا، أنا هنا، وبالتالي كل شيء هو لك لتملأ قلبك لدرجة توسعه بفرح لم تتخيله حتى».

إن لقاء المسيح الحاضر حقًا هو ميلاد، إنها ولادة. لهذا السبب – لكنني فهمت الأمر بعد سنوات كما كتبت للأب جوساني – في ذلك المساء انتقلت من هاوية الحزن إلى الفرح الكامل لأنني وُلِدت! كما قال يسوع في العشاء الأخير: «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: ستَبكونَ وتَنْدبونَ، وأمَّا العالَمُ فسَيَفرَحُ. ستَحزَنونَ، ولكِنَّ حُزنَكُم يَصيرُ فرَحًا. فالمَرأةُ تَحزَنُ وهيَ تَلِدُ، لأنَّ ساعتَها جاءَت. فإذا وَلَدَت تَنسى أوجاعَها، لِفَرَحِها بِولادَةِ إنسانٍ في العالَمِ».[21]

ثم واحد، مثلي، سوف ينكر ألف مرة ، وسوف يمر ألف مرة بهذا المخاض الذي سينتهي فقط عندما يولد للحياة الأبدية في المسيح يوم وفاته، لكن اللقاء الفاصل، في ذلك اليوم، وفي تلك ساعة، سيبقى ثابتًا باعتباره يوم ولادته، الذي هو بداية لا يمكن لأي شيء محوها، إنها «الحب الأول»، كما يقول سفر الرؤيا،[22] والذي يمكن للانسان بالتأكيد التخلي عنه وخيانته، ولكن لا يمكن محوه. فهو يظل في الحياة كحكم يدعوه إلى الاهتداء المتواصل، لكنه حكم ملئ بالحنان، كما حدث عندما التفت يسوع ونظر إلى بطرس في فناء رئيس الكهنة،[23] ورأى بطرس في تلك النظرة الحب الأول العظيم والأبدي في لقاؤه مع يسوع، والذي لم يستطع إنكاره. فقد أنكر يسوع في غيابه، أمام الوجه المستفسر للحراس، لكنه لم يستطع أن ينكره أمام نظرة يسوع له، أي في الحدث الحالي لمحبة المسيح له.

---

[20] نفس الكتاب المذكور سابقاً.

[21] يو ١٦: ٢٠-٢١ .

[22] رؤ ٢: ٤.

[23] لو ٢٢: ٦١.

لأنه في تلك النظرة المليئة بالحنان، والمليئة بالرحمة، كانت هناك حقيقة بطرس الكاملة، بل: كل الواقع على الاطلاق. ماذا يمكن أن يوجد لنا بعيداً عن نظرة الرب المليئة بالمحبة والذي يريدنا، ويصنعنا، ويدعونا، ويرسلنا، ويغفر لنا ؟! لو كان يسوع قد أنكر بطرس في تلك اللحظة، لكان بطرس قد ذاب. لأن بطرس كان موجوداً للمسيح ليس من الناحية الوجودية فقط بل من ناحية سمات كيانه أيضاً. لكن في وجوده حدث لقاء، ونشأت صداقة سمحت له بأن يصيرواعياً من الناحية الوجودية بالعلاقة التي كانت تشكله، والصداقة التي جعلته يختبرويعيش كيانه من خلال تلك العلاقة.

أعذروني إن اقتبست ولو لمرة واحدة في هذه الرياضة الروحية مشهدًا من كتابي «سمعان المدعو بطرس»، لأن المشهد هو الذي يتحدث عن هذا السر ولا أستطيع التحدث عنه بشكل أفضل من كيف وجدت نفسي أحكيه في هذا الكتاب منذ أكثرمن عشرين عامًا، ولا زلت لا أعرف من أين أتى:

«شعر بطرس بالضياع. وكان يرتجف وينظر إلى كل من جاءوا لفحصه عن قرب، مشيرين بأصابع الاتهام إليه. وصرخ وأقسم في يأس قائلاً: "أنا لست واحدًا من تلاميذه! ولا أعلم ماذا تقولون! إنني لا أعرف ذلك الرجل! ".

كان الحراس على وشك إلقاء القبض عليه ، ولكن في تلك اللحظة فقط خرج كبار الشخصيات والحراس ومعهم يسوع مقيدًا في وسطهم؛ لذلك، عن غيرقصد ، وجد بطرس نفسه يصرخ بإنكاره الأخيرليس لوجوه الحراس الكئيبة والمخيفة، بل محدقاً في يسوع الذي كان بدوره يحدق فيه. لقد كان نهاراً بالكفاية لتصل نظرة الرب إلى سمعان بكل عمقها.

وللحظة – ولكن إلى متى تدوم لحظة تحت أنظار الإله الأبدي؟ – ثم اختفى كل شيء من حول بطرس. الحراس والخدم والفناء وقصر رئيس الكهنة والنار والبرد ... كل شيء اختفى. لم يكن هناك سوى نظرة يسوع، وفي هذه النظرة، في ضوء هذه النظرة ، رأى بطرس مرة أخرى كل ما اختبره وعاشه مع المعلم: البحيرة والقارب وأول صيد وسمع من جديد كل كلمات الرب له وكلماته هو للرب: " ابحر إلى العمق " ؛ "لكن على كلمتك ..." ؛ "ابتعد عني أنا الخاطئ!" ؛ "من الآن فصاعدًا ستكون صيادًا للناس" ؛ «سوفيكون اسمك كيفا (الصخرة)» ؛ "أمرني أن آتي إليك سيراً على الماء"؛ "يا رب انقذني" ؛ "أنت المسيح ابن الله الحي". "طوبى لك يا سمعان ..." ؛ "ابتعد عني يا شيطان!" ؛ "من الجميل لنا أن نبقى هنا" ؛ "لي ولك" ؛ "كم مرة يجب أن أغفر؟" ؛ "يا رب إلى من نذهب؟" ؛ "لن تغسل قدمي أبدًا!" ؛ "سأبذل حياتي من أجلك" ؛ "ابقوا هنا واسهروا معي" ؛ «يا سمعان، هل أنت نائم؟" ؛ "أعد سيفك إلى غمده؛ أفلا يجب عليَ أن أشرب الكأس التي أعطاني إياها الآب؟ "؛ "لن يصيح الديك قبل أن تنكرني ثلاث مرات!" ...

لكن كل هذه العبارات وكل هذه الأحداث لم تكن في نظر يسوع إلا قصة حب، وربما، للمرة الأولى فهم بطرس بل رأى بالفعل، كم أحبه يسوع وكم كان صديقًا له. وكلماته الانكارية – "لا أعرف ذلك الرجل!" – تردد صداها في عيون المعلم المملوءة بالحب والألم، وسقطت في قلب سمعان مثل سقوط الملح على الجرح. إنه لم يحب حقاً بحب يسوع، وقدّر كل العزلة في قلبه وكل التخلي عن صديقه وأبيه الوحيد. لا، لم يكن اليهود، ولم يكن الرومان هم من جرحوا يسوع في تلك الليلة، بل هو بطرس! وهجر الأصدقاء هو جرح أكثر مرارة من عداء الأعداء.

الآن كان سيبذل بطرس حياته حقًا من أجل الرب. فقد فهم الآن أنه كان على استعداد لخسارة كل شيء من أجله. وفي هذه اللحظة اللامتناهية – التي لن تنتهي أبدًا – طلبت عينا سمعان من يسوع أن يكون قادرًا على الموت معه. وفي هذه اللحظة التي لا نهاية لها، أجابه الرب بنظره: ليس الآن ! في وقت لاحق! وفي هذه اللحظة اللامتناهية، لم يبد بطرس أي اعتراض وقَبِلَ هبة العجز، وهبة عدم القدرة على فعل أي شيء وهبة فشل إرادته ونعمة عجز محبته. لقد قبِل سمعان، المدعو بطرس، جرح نظرة يسوع غير المحبوبة وشعر بنبع من المرارة ينفجر في قلبه.

وصاح الديك.

ولم يعد يسوع هناك.

وكان بطرس بالخارج، وهو يسكب دم دموعه من أجل يسوع».[24]

اللقاء هو ولادة

لكن كيف إذن أن اللقاء الذي يجعلنا نولد، والذي نحن بالنسبة له غير ناضجين من الناحية البنيوية، مثل أي طفل يولد، كيف ينمو اللقاء ويجعلنا ننمو وننضج؟ إذا كان اللقاء مع يسوع لا يجعلنا ننمو ولم يأخذنا إلى ما هو أبعد من أنفسنا وإلى خارج قوقعة عدم الرضا والشكوى التي تحيط بذواتنا، فما فائدة هذا اللقاء؟ وهنا يشير الأب جوساني في هذا الاعتراف القصير والمُركز جدًا عن حدث المسيح في حياته على الفور إلى أن اللقاء مع يسوع الذي ينكشف لنا على أنه حياة حياتنا هو ولادة، كما هو الحال مع كل ولادة، يتبعها نمو ثم مسيرة وتحول وتطور وتعلُم: «لقد صادفت حياتي المسيح بالتحديد كي أتعلم ...»؛ «لأن فيه يكمُن كل ما أريد وكل ما أسعى إليه وكل ما أضحّي به وكل ما يتطور بداخلي بمحبة الأشخاص الذين وضعني معهم. [...] المسيح، حياة الحياة، هو اليقين بالمصير الصالح ورفقة الحياة اليومية والرفقة الأسرية والتحول إلى الخير: هذا يمثل دوره الفعال في حياتي».[25]

[24] الأب ماورو جوزيبي ليبوري، سمعان المدعو بطرس، كانتاجالي، سيينا ٢٠١٥، االفصل الثالث عشر، الصفحات ٨٤ - ٨٦.

[25] الأب جوساني، بذل الحياة من أجل عمل آخر، كتاب سبق ذكره، الصفحة ٦٣؛ المضمون المكتوب بالخط المائل هو من تأليفنا.

نعم، هناك فعالية وتأثير للمسيح في حياتنا وفي عمل توبتنا وفي تغيير ذواتنا وفي اتباعه، الذي هو السماح لهذه الفعالية بالعمل، كالسماح للرب بإعادة خلقنا وإعادة تشكيلنا إلى آدم الجديد والحقيقي، الذي حياتنا وعلاقاتنا وقدراتنا وضعفنا إذا جاز التعبير هي الصلصال أي المادة التي من المعمودية فصاعدًا تُوضع من جديد في يدي المسيح الكلي القدرة، وهو الرب القادر على كل شيء بفعاليته الكاملة والغير محدودة التي تحيينا وتجددنا.

كما يقول الرب في الفصل الحادي والعشرين من سفر الرؤيا: «ها أنا أجعَلُ كُلَّ شيءٍ جَديدًا!».[26] إنه يجعل كل شيء جديد بدءًا بنا، بأنفسنا، وقبل كل شيء بنا وبي وبقلبي الذي ينجذب إليه لأنني لا أحتاج إلى شيء آخر إلا هو.

بعد أن شعر إلى أقصى حد بعدم نضجه التام في علاقته بالمسيح، إلى درجة إنكاره بُجبن خالص، وهذا بعد ثلاث سنوات من العيش معه ليلًا ونهارًا!، ماذا سيقترح الرب القائم من بين الأموات على بطرس حتى يقوده إلى أقصى النضج وإلى سلطة بطرس الموصوفة في أعمال الرسل، رجل لا يخاف أن يشهد للمسيح في وسط الساحات وفي المحاكم وفي السجن وفي القدس وفي أنطاكية وفي روما وحتى الاستشهاد؟ ماذا سيقترح القائم من بين الأموات على بطرس ليقوده إلى هذا التطابق معه حتى يشفي المرضى بظله ؟![27]

إننا نجد خلاصة كل شيء وتركيزه في الحوار الأخير الذي دار بين يسوع وبطرس والمذكور في إنجيل يوحنا، في الفصل ٢١: ١٥-١٩، ويتلخص هذا الحوار في كلمتين ليسوع: «هل تحبني؟ - اتبعني !». فباتباع المسيح الحاضر بمحبة، ينمو اللقاء معه، ويجعلنا ننمو، ونثمر. لنتذكر ما كنت أستشهد به بالأمس من رسالة الأب جوساني بتاريخ ٢٢ فبراير ٢٠٠٢ : «إن إتباع المسيح ومحبته في كل شيء: هذا ما يجب الاعتراف به باعتباره السمة الرئيسية لمسيرتنا».[28]

مرتا، مرتا!

دعنا نعود إلى مثال مرتا، التي علمتنا الكثير عن ديناميكية التحول الجِذري الذي يحدده اللقاء مع الشخص الوحيد الذي نحتاجه. ما هي المسيرة الذي بدأْتها أنت لنفسك في ذلك المساء؟ ما هو الأثر الذي أحدثته كلمة المسيح حتى تنسحب وتنزوي للتأمل في صمت؟ في البداية ربما تكون قد انسحبت للتذمر، ثم للتأمل فوق كل شيء. لأن كلمات المسيح هذه كانت تحتوي على حلاوة غامضة وحنان تجاهها لم تختبره من قبل.

«مَرتا، مَرتا، أنتِ تقلَقينَ وتَهتمِّينَ بأُمورٍ كثيرةٍ، معَ أنَّ الحاجَةَ إلى شيءٍ واحدٍ. فمَريَمُ اَختارَتِ النَّصيبَ الأفضَلَ، ولن يَنزعَهُ أحَدٌ مِنها.» [29]

---

[26] رؤ ٢١: ٥.

[27] أع ٥: ١٥.

[28] أنظر الملحوظة ٤ الموجودة هنا في صفحة ١٠.

[29] لو ١٠: ٤١-٤٢.

يكرر يسوع اسمها مرتين. يا له من اهتمام يُعبر به لها! يا له من تقدير! يشبه الأمر تمامًا عندما دعا الله إبراهيم ليطلب منه التضحية بإسحق،[30] أو عندما نادى موسى من العليقة المشتعلة،[31] أي في اللحظات الحاسمة من تاريخ الخلاص. أو، كما نادى المسيح شاول الطرسوسي، الذي كان منطلقاً في مهمته المجنونة كمضطهد (للمسيحيين): «شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟».[32] وتجد مرتا نفسها أيضًا أمام الله الذي يأخذها إلى حيث يبدو أنها تمتلك حياتها، وهناك يطلب منها تفضيلًا له. وكان إبراهيم في تلك اللحظة واثقًا من امتلاك نسله إلى الأبد. والتقى موسى بالله في العليقة المشتعلة، وقبل كل شيء كان شاول متأكدًا من أنه كان يفعل أكثر الأفعال عدلاً وصواباً، أي مثل ما يمكن لأي إنسان أن يفعل. وهناك بالتحديد، حيث يبدو لك أنك تمتلك حياتك، هناك من يطلب منك تفضيله هو. لكنه، بدلاً من أن يطلب منك، يقترح عليك ذلك. وتكون هناك في الحال جاذبية غامضة في اقتراح الله هذا ككل شيء لحياتك وكحياة حياتك. ولذلك، يطيع أبينا إبراهيم حتى الاقتراح بالتضحية بابنه ويخلع موسى نعليه ويقترب من العليقة المشتعلة. ويسمح شاول بأن يُقاد مثل الطفل لترعاه الجماعة المسيحية الصغيرة في دمشق التي أراد تدميرها.

بالنسبة لمرتا، هي نفس الدعوة، التي جاءتها في حياتها اليومية، لكنها نفس الدعوة. يا له من فرق في القيمة يمكن أن يكون بين دعوة إبراهيم أو موسى ودعوة هذه المرأة المشغولة في المطبخ، إذا كانت الدعوة تأتي من نفس الرب والإله. بل، لعلي أقول أن الدعوة بالنسبة لمرتا هي أكثر استثنائية، لأن الأله الأبدي لا يدعوها من السماء أو من عليقة مشتعلة، ولا من جبل سيناء، لكن هناك وهو جالس في منزلها، حيث يتحدث، إنسان مثلنا، وصل متعبًا ويتصبب عرقاً، وأقدامه مُترية، وبعد ذلك سيبدأ في الأكل والشرب مثلنا. إن هذاأمر أكثر إستثنائية من العليقة المشتعلة ومن جبل سيناء الذي يُدخِن و يهتزويرتج. كما قال يسوع مشيرًا إلى يوحنا المعمدان: «الحقَّ أقولُ لكُم: ما ظهَرَ في النَّاسِ أعظمُ مِنْ يوحنَّا المَعمدانِ، ولكِنَّ أصغَرَ الّذينَ في مَلكوتِ السَّماواتِ أعظمُ مِنهُ».[33] نحن أعظم لأن الاقتراح الذي يقدمه الله لنا في الابن المتجسد هو أكثر من إستثنائي، والذي يقدمه لنا في الجسد، وفي الحياة اليومية لوجودنا الإنساني. وجود. فمطبخ مرتا، كما هو الحال من قبل مع الحُجيرة أو مغارة السيدة العذراء في الناصرة، هو مكان أقدس من غابة بلوط في ممرا بالنسبة لإبراهيم، ومن سيناء لموسى، ومن حوريب لإيليا. لماذا، لأن الله لم يكن حاضرًا مثلما كان في يسوع المسيح. «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا»،[34] جاء، حرفياً، "يسكن"، لينصب خيمته في وسطنا، ويقيم خيمته بيننا، ليلتقي بنا عن قرب، بشكل

---

[30] تك ٢٢: ١.

[31] خر ٣: ٤.

[32] أع ٩: ٤.

[33] مت ١١: ١١.

[34] يو ١: ١٤.

مألوف، في حياتنا، وبالتالي يقدم لنا في ذاته، بكل بساطة، كل ما صُنِعَ القلب من أجله، وما يصنع قلب كل إنسان في تاريخ البشرية.

القرار الكبير

عندما يتفاجىء الانسان بهذا الحدث، مثل مرتا في ذلك المساء عند سماعها كلمات يسوع، ماذا يحدث؟ ماذا عليه أن يفعل؟ ما هو رد الفعل المطلوب من حريته التي شعرت بالاستفزاز من وبالانجذاب إلى اقتراح الامتلاء من جانب الله؟

إذن، تبدأ لمرتا أيضًا مسيرة واتباع. فقد كشف لها الإله الأبدي أنه ليس كل شيء في ذاته فحسب (فحتى الوثنيون يعرفون ذلك!)، بل لها تحديدًا – «مرتا، مرتا!» – وكذلك لمريم ولعازر ولبطرس ولسائر الرسل. يسوع هو كل شيء لها بالتحديد!

لكن عندما يكشف المسيح عن ذاته لنا باعتباره الوحيد الضروري، الذي نحتاجه، فإن هذا يتطلب أولاً وقبل كل شيء قرارًا. لأنه إذا كان هذا صحيحًا، بأنني في احتياج له وحده، عندئذ لا يمكنني الانفصال عنه بعد الآن. فإذا كان هذا صحيحًا، فلا يسعني إلا التحقق من ذلك. وإذا لم أفعل ذلك، أي إذا لم أتحقق من أنه يعطي ذاته لي على أنه كل ما أحتاجه، مما يجعلني أدركه بالصدى الغامض لنظرته وصوته وكلمته التي تجعلني أشعر به في قلبي، وإذا لم أتحقق من هذا، سأخون نفسي، وسأخون كل عطشي للسعادة والحقيقة والجمال والحب الذي يعذبني به قلبي منذ ولادتي، وربما حتى قبل الولادة. إذا لم أتحقق من شمولية المسيح بالنسبة لي، لكانت حياتي كلها ستعيش في ظل الحزن، حزن الشاب الغني،[35] الذي تصفه لنا جميع الأناجيل الإزائية وخاصة في إنجيل مرقس ١٠، ظل ربما يجعل كل شيء رمادي، كل ممتلكاتي، وكل ما كان من قبل مفتوحًا للرغبة في الامتلاء، لكنه الآن يصبح اختناقًا لرغبة قلبي، مثل قبر تركت نفسي أندفن فيه وأنا على قيد الحياة.

قبل أن يلتقي بيسوع ويقول له لا، جسدت ثروات الشاب الغني واستقامته الأخلاقية (قال في الحقيقة: «لقد أطعت كل الوصايا، فماذا ينقصني؟») رغبته في الحياة الأبدية، كما لو كانت تتطلع إلى المسيح، وكانت تصيح بعدم كفايتهم لإشباع عطش قلبه، لذلك كانت خيرات وفضائل دفعته إلى نقطة غامضة شعر بها قلبه ولكن وجهه ظل غامضًا، لأنه لم يكن قد قابله بعد. وحتى ذلك اليوم، كانت ثروات هذا الشاب ومواهبه وفضائله الأخلاقية مفتوحة، ولم تكبح جماح هذا الشاب، بل دفعت اشتياق قلبه إلى شيء بلا حدود. ولكن بعد ذلك جاء اللقاء، ونظرة محبة يسوع له، قال يسوع، بكلمات مختلفة عن تلك التي قالها لمرتا، ولكن ظل هو ذاته: «أنا وحدي أكفيك! أنا فقط ما يحتاجه قلبك!» ولم يفعل يسوع شيئًا سوى الإشارة إلى الشاب بأن عليه ترك ممتلكاته ومواهبه وفضائله لأنها أصبحت شرًا وعيوبًا ورذائل، ولكن ببساطة لأنها وصلت إلى غايتها، واكتمالها، عند لقائه مع المسيح.

[35] مر ١٠: ١٧-٢٢.

فالآن، قد أكملوا مهمتهم في جعله يتوق إلى خبرة اكتمال وتحقق للذات لم يكونوا قادرين على ضمانها أو تحقيقها. إن مأساة هذا الشاب كانت في عدم اتباعه (للمسيح). وإذ لم يكن قادرًا على التخلي عن ممتلكاته، وبالتالي لم يتبع المسيح ولم يبقى معه، لم يعترف به حقًا على أنه الشيء الوحيد الذي يحتاجه.

لقد عاش اللقاء، لكنه لم يعتنق اتباع المسيح. ففي اللقاء الذي حدث بالتأكيد (وإلا، لماذا غادر بكل هذا الحزن؟!)، لم يتبعه اتباع المسيح. فعدم إتباع المسيح لا يعني أن اللقاء لم يتم؛ بل يعني أن اللقاء لم يستمر، فقد تم إجهاضه، ولم يصبح اتحاداً مع يسوع، ولم يصير أُلفة وصداقة؛ ولم يصبح مسيرة معه. إن ذلك الحزن الرديء الذي يخنق قلوبنا هو خيبة أمل قلبنا الذي يلمح امتلائه وإشباع أعمق رغباته، ونحن ننزعها عنه (إن هذا في حد ذاته حزن طيب أيضاً لأنه طيب وحقيقي في قلبه). إنه مثل انتزاع مولود جديد من أمه: يفقد الطفل الرغبة في العيش والنمو والتقدم في طريق الحياة.

وكأن الحرية تنفصل عن رغبة القلب. هذه هي مأساة الشاب الغني الحقيقية ومأساة كل من يلتقون بالمسيح ولا يتبعوه. أنا لا أقول أنهم من خلال لقائهم بالمسيح لا يصبحون قديسين على الفور، لكنهم لا يبقون مرتبطين به، حتى مع كل خطاياهم، حتى مع ثرواتهم التي لا يستطيعون الانفصال عنها. لكن على الأقل يظلون مرتبطين به، وكأن الحرية تنفصل عن رغبة القلب. إن القلب يلتقي ويرغب ويريد العناق ... لكن الحرية، أو ما نعتقد أنه حريتنا، بحساب لا واعي للذات، وبسبب الخوف الذي تثيره أشباح وتقديرات زائفة، يقول القلب لا، ويمنع العناق. إذن هذه الحرية الزائفة، المعذبة لذاتها، تسحب بعيداً قلب الطفل الذي كان على وشك أن يحتضن يسوع، وتفرض عليه بشكل سلطوي واستبدادي سُبُلاً أخرى نحو إمتلاءات أخرى، والتي ستثبت جميعها أنها زائفة، سواء السبل أو الامتلاءات.

رعاة الحياة

منذ العديد من السنوات، في ٢٠ فبراير ١٩٩٥، وجدت نفسي بجانب فراش الموت الذي كان يرقد عليه المطران ايوجينيو كوريكو – الكاهن الذي التقى بالأب جوساني عندما كان بالفعل أستاذًا شابًا، وقام بتقديم حركة الشراكة والتحرر في سويسرا – وكان معي الأب جوساني الذي جاء في ذلك اليوم لزيارته للمرة الأخيرة.[36] وقد أراد العودة لزيارته مرة أخرى، لكن المطران كوريكو توفي بعد تسعة أيام من ذلك اللقاء. ولأن المطران، الذي كان يأخذ مسكنات قوية لتخفيف الألم، لم يكن قادرًا على البقاء في حالة يقظة، تحدثنا أنا والأب جوساني لمدة ساعة عن الحياة وعن الموت وعن الحد وعن المحبة وعن كل شيء. ربما كانت هذه هي الساعة، أو بالتأكيد أكثر الساعات تأثيراً في حياتي، في حضور هذين الصديقين والآباء القديسين، أمام مشهد اتحادهم على حافة الموت والحياة، والحياة الأرضية والحياة الأبدية. عندما اعتذر المطران ايوجينيو عن نعاسه قائلاً: «معذرة،

[36] أ. موريتي، إيوجينيو كوريكو: نعمة حياة، كانتاجالي-إيوبرس ف.تي.ل، سيينا-لوجانو ٢٠٢٠، الصفحات ٢٩٥-٢٩٦.

إنني أجد صعوبة في البقاء يقِظاً»، قال الأب جوساني: «إنها خبرة الحد. لكن تم الانتصار على الحد. فقد انتصر المسيح على العدم! ». وبينما كان المطران كوريكو يعود للنوم مرة أخرى، أخبرني الأب جوساني، وهو يحدق النظر في صديقنا المحتضر، أن أكثر صفحات الكتاب المقدس إثارة للإعجاب بالنسبة له كانت الفصل الأول من سفر الحكمة، وأنه تأثر قبل كل شيء بالنهاية، حيث يقال أن الإنسان يختار الموت، وإن كان الله يختار له الحياة: «لأَنَّ اللهَ لم يَصنعِ المَوت ولا يُسَرّ بِهَلاكِ الأَحْياء . فإِنَّه خَلَقَ كُلَّ شيَءٍ لِكَي يَكون وإِنَّ خَلائِقَ العالَمِ مُفيدة ولَيسَ فيها سَمّ مُهلِك ولا مُلْكَ لمَثْوى الأَمْوات على الأرض. لأَنَّ البِرَّ خالِد. لكِنَّ الكافِرينَ دَعَوا مَثْوى الأَمْواتِ بِأَيديهم وأَقْوالِهم عَدُّوه صَديقًا فاْضمَحَلوا ثُمَّ عاهَدوه لأنّهم أَهلٌ لأَن يَكونوا من حِزبِه».[37]

إنها تبدو صورة لكثير من الثقافة السائدة في عالم اليوم، صديقة الموت، والتي ترغب في الموت كما لو كان صديقًا، كما لو كان إكتمالاً للحياة. إنه الدينونة المريرة التي يعبر عنها المزمور ٤٨ على أولئك الذين يعيشون ليربحوا العالم كله بدون الاصغاء إلى الرغبة الحقيقية للنفس والقلب: « يُساقونَ كالغنَمِ إلى عالَمِ الأمواتِ، وهُناكَ يرعاهُمُ الموتُ. يَنزِلونَ تَوًا إلى القبرِ وصورَتُهُم تصيرُ إلى البَلاءِ، ويكونُ عالَمُ الأمواتِ مَسكِنًا لهُم».[38]

ثم قلت للأب جوساني إن هذه الآية جعلتني أفكر في عبارة قالها يسوع لليهود، وهي عبارة مليئة بالحزن، عندما بكى على أورشليم: «وَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ».[39]

وهناك، في نظرة هذا الأب العجوز، الذي أنهكه المرض بالفعل، ولكنه مُفعم بالحياة قلباً وروحاً، ورأيت وفهمت ما هي المحبة. ومحبة هذين الرجلين التي كانت أمامي، ومحبة جميع من في حياتي الذين تمكنت من التعرف عليهم كأصدقاء ورعاة للحياة، وليس للموت. والمحبة الشاملة لجميع الباباوات الذين أعطاهم لنا الرب حتى البابا فرنسيس. ومحبة الرعاة الذين في مواجهة كل إنسان وجميع البشر، وفي مواجهة ثقافة تتبع الموت، ويقودها- مرتزقة- لا يهتمون بالحملان، لا يستسلمون ولا يخضعون لإغراء الموت، ولا يقبلونه كصديق، كما يقول لنا سفر الحكمة. إنهم رعاة، وآباء، وأمهات يموتون بدلًا من التخلي عن أن يكونوا رعاة للحياة، ورعاة يقودون إلى الحياة، ويقودون إلى المسيح حتى يكون للجميع حياة فيه، وبوفرة. كما يقول الراعي الصالح في إنجيل يوحنا ١٠:١٠ «أَمَّا أنا فجِئْتُ لِتكونَ لهُمُ الحياةُ، بل مِلءُ الحياةِ».

داخل مأساة الإنسانية العظمى

هذه هي المأساة العظمى للانسانية التي نحن أيضًا مدعوون لاتخاذ القرار فيها، نحن أولاً، وبوعي، ونحن أيضًا للآخرين، كأبطال غير جديرين ولكن حقيقيين في محبتنا للإنسان، وشغفاً وولعاً به الذي مصدره كله هو المسيح. إن المأساة العظمى هي أن الحياة موجودة،

37 حك ١: ١٣-١٦.

38 مز ٤٩ (٤٨) : ١٥.

39 يو ٥: ٤٠.

لقد أتت، وهي هنا، ويمكننا أن نلتقي بها، لكن يمكننا أن نقرر عدم الذهاب إليها، ويمكننا أن نقرر عدم إتباعها وعدم قبول اقتراحها رغم أن القلب يعترف بجاذبيتها وباعتبارها الشيء الوحيد الذي يحتاجه.

لذا، فإن الاختيار الحيوي للجميع، بغض النظر عن حالة الحياة أو شكل الدعوة، يكون الاختيار الأساسي هو بين العيش مع المسيح أو بدونه، بين العيش باتباع المسيح أو العيش بعيدًا عنه.

إن هذا الاختيار الحيوي ليس اختياراً «لدعوة معينة»، كما يقال. إنه القرار الأساسي للمسيحية، إنه الاختيار المطلوب من كل مُعمَّد، بألف طريقة، بل وبلايين الطرق، مهما كان عدد الرجال والنساء. لأن الأمر يتعلق بالمسيح ذاته، وبما هو المسيح في ذاته وبما هو بالنسبة لنا. إنه قرار تجاه الوجود، وتجاه الكائن بذاته، أي تجاه «أنا الكائن» الذي كشف ذاته لموسى على جبل سيناء، ولكن كما قلت، فقد أصبح حضورًا يوميًا في المسيح الذي يأتي ليقول لنا: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ [إذن واليوم أيضًا، ٣٠ أبريل ٢٠٢٢، هنا أو هناك حيث يوجد كل واحد منكم]، إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ».[40] من المثير للإعجاب أن ينتهي الإنجيل بحسب القديس متى بهذه الكلمات، لأنه يعني أن الإنجيل لا ينتهي أبدًا، ويستمر كل يوم، حتى نهاية العالم!.

لكن ما هو يسوع في ذاته، ''أنا الكائن'' يسوع المسيح، متجسداً، وعائشاً كإنسان، ومائتاً على الصليب، وقائماً من بين الأموات، هو كل شيء بالنسبة لنا، وكل شيء ليخلصنا، وهو كل شيء ليبذل نفسه من أجلنا باعتباره من نحن بحاجة ماسة إليه ومن يلبي كل احتياجات قلبنا، وحياتنا، وعلاقاتنا، وعملنا، والطبق الذي أطبخه مثل مرتا، وصيد السمك عبثًا في الليل، مثل بطرس، قضيتها مع رفاقي ... المسيح يعطي ذاته لنا باعتباره الشخص الوحيد الذي يلبي كل احتياجات إنسانيتنا.

اللقاء مع المسيح يعطي ويقترح هذا، أي كل شيء. ثم توضع الحرية أمام اختيار المسيح الذي لا يقتصر على كلمته، وتعاليمه، ومثاله للاقتداء به، وحبه للفقراء، والمعجزات التي يستطيع أن يفعلها، وأي شيء تريدونه. إن اختيار المسيح هو اختياره في مجمل شخصه، أي اختياره حاضراً، والذي يطلب أن يكون حاضرًا في حياتي كلها، أي يطلب أن أقبله في داخلي.

«هاءَنَذَا واقِفٌ على البابِ أَقرَعُه، فإِن سَمِعَ أَحَدٌ صَوتي وفَتَحَ الباب، دَخَلتُ إِلَيه وتَعَشَّيتُ معه وتَعَشَّى معي».[41]

إذا كنا على علم بما يعنيه هذا، وإذا كنا ندرك أن كلمة المسيح هذه في سفر الرؤيا ليست صورة تقية جميلة، بل هي الوصف الحقيقي لعلاقته معنا ومعي ... علينا أن نرتجف من التفكير في عدد المرات التي نُهمل فيها عرضًا كهذا، الذي هو عرض لكل شيء، من الذي يقف على بابي، مثل متسول يأتي ليطلب منا بعض المال، ولكن عندما يأتي يطلب أن

[40] مت ٢٨: ٢٠.

[41] رؤ ٣: ٢٠.

يمنحنا الحياة، وإشباع قلبنا ولكل ما يكون، وينسج ، ويشكل وجودي، وصولاً إلى كل شعرة في رأسي. شكراً لله، لقد خُلقنا في الزمن، ولسنا ملائكة تصبح شياطين إلى الأبد في لحظة قرار خاطئ ومتكبر. إذ يعطينا الرب الاختيار في القيام به وفي إعادة القيام به، وأتخذه مرةً وأتخذه من جديد باستمرار، وتجديده باستمرار. إنه يعلم أننا إذا لم نفتح له الباب، فسنعيش بلا معنى، بدون حياة حياتنا، وهو لا يستسلم لهذا، فهو دائمًا ما يعود للبحث عنا ليطرق على بابنا. ... أنا متأكد من أن الشاب الغني هو القديس مرقس نفسه، وأنه تاب واهتدى وعاد إلى يسوع، لأن يسوع لم يستسلم لرؤيته يغادر هكذا. في الواقع، بعد حادثة الشاب الغني، هرع يسوع في الحال إلى طريق آلامه، لأنه أراد أن يخلصه، وأراد أن يخلص كل إنسان.

لكن، من يقبل، من يبدأ في اتباعه بطريقة جيدة أو سيئة، ومن يريد أن يظل مرتبطًا به في كل خطوة من خطوات الحياة، وينمو! وينمو في الحياة، وينمو في إنسانيته، وينمو في كل ما يجعله وجود المسيح مختلفاً وأجمل، وأكثر سعادة، وأكثر قوة، وأكثر نضجًا، ووداعة، وأكثر تواضعًا، وأكثر شجاعة، وأكثر قدرة على الحنان، والسلام، أو على شجاعة التأكيد بحسم على الحق، والعدل، والتمسك به لدرجة الموت من أجله. فمن يقبله ويتبعه، ينمو في تلك القداسة التي هي ملء الانسانية التي بحضور المسيح ومحبته تكون ممكنة للجميع، وفي كل حالة من حالات الحياة، وفي كل وضع من أوضاع الحياة. إذ لا يوجد شيء انساني لم يأتِ المسيح ليعطي له الفداء والكمال. لهذا نحن نحتاج إليه هو فقط.

ويا لها من دهشة أن نرى هذا النمو لإنسانية حقيقية بيننا. يا لها من دهشة أكبر عندما نرى أنفسنا تتغير، وتتغير على وجه التحديد في صداقتنا معه، حتى لو ظل البؤس، وربما مع مرور الوقت وتزايد العمر. لأن الحقيقة الانسانية للقديس هي حقيقية جداً ومؤسسة فقط على المسيح، لدرجة أنه لا يهتم بالاستمرار لفترة طويلة، وربما دائمًا ، في العيش مع ضعفاته وحتى مع خطاياه. فالقديس يعيش بالحق حتى خطيئته ويقدس نفسه أيضًا عبر خطيئته – ربما أقول بدعة؛ لكن البابا يقول ذلك أيضًا! – مثل بطرس الذي يبكي بمرارة. لأن قِوام القداسة المسيحية ليس فينا، وليس في الإنسان، وليس في القديس. إن قوام القداسة هو الإرتباط بالآخر (بالمسيح)، وكل شيء يأتي منه، وكل شيء موجود فيه، كما يعبر عن ذلك القديس بولس في نشيد الاصحاح الأول من رسالته إلى أهل كولوسي.

«ففيه خُلِقَ كُلُّ شيَء. هو قَبْلَ كُلِّ شيَء وبِه قِوامُ كُلِّ شيَء. وهو رَأسُ الجَسَد أي رَأسُ الكَنيسة. هو البَدْءُ والبِكْرُ مِن بَينِ الأَموات [المسيح، حياة الحياة] لِتَكونَ لَه الأَوَّلِيَّةُ في كُلِّ شيَء. فقَد حَسُنَ لَدى الله أَن يَحِلَّ بِه الكَمالُ كُلُّه [وفي الكون كله، لكن قبل كل شيء في قلبي وفي قلب مرتا وفي قلب كل انسان]. وأَن يُصالِحَ بِه ومِن أَجلِه كُلَّ موجود [من مهام مرتا المبددة إلى علاقتها مع أختها مريم حتى الحرب في أوكرانيا وحتى العلاقة بين الروس والأوكران] مِمَّا في الأَرْضِ ومِمَّا في السَّمَوات وقَد حَقَّقَ السَّلامَ بِدَمِ صَليبِه».[42]

[42] كولو ١: ١٦-٢٠.

كل شيء يجتمع وراء المسيح

لكن هذا الدور الكوني والعالمي للمسيح هو كما لو كان يجب أن يبدأ من مطبخ مرتا ومن قارب بطرس ومن مائدة متى لجباية الضرائب، كما بدأ في وقت سابق في منزل مريم بالناصرة، وفي ورشة نجارة القديس يوسف وفي اسطبل بيت لحم للرعاة ... فباختياره، أي باختيار كلمة الله ، كل إعادة تكوين الكون هذا تبدأ بشكل غامض مني ومنا ومن اللقاء مع كل واحد منا وإذا تلى اللقاء الارتماء في جاذبيته وإذا كان رد فعل على اللقاء هو الارتماء في جاذبيته التي تجعلك تقرر من جديد البقاء مع المسيح، في كل خطوة وفي كل ظرف وفي كل لقاء، وفي كل خيانة، بحيث كل الحياة تصبح قافلة من العلاقات واللحظات والأفعال والخبرات التي تجتمع وراء المسيح، والتي تتبع يسوع، لأن القلب يتبعه، ولأن القلب قد شعر بالدعوة الأساسية والكافية لتبرير كل إختيار آخر، وكل تخلي آخر، وكل تضحية أو عناق ممكن: «مرتا، مرتا، أنا فقط الضروري لكِ، وأنا فقط أعطي إشباعًا أبدياً بلا محدود لرغبة قلبك!».

إن إتباع المسيح هذا يوسع الأنا. ويتحدث القديس بنديكتوس عن هذا النضج في بداية قانون الرهبنة حتى يفهم الرهبان الذين يتبعونه أن كل الانضباط الذي ينطوي عليه، وكل جهاد التغير الجذري الذي يتطلبه، فكل شيء هو من أجل نمو الشخص في قدرته على حب الله وإخوته بحرية، وبالتالي الترحيب بتوسيع القلب الذي يعد به المسيح ويعطيه لمن يتبعه.

ويكتب القديس بنديكتوس: «لذلك علينا إنشاء مدرسة لخدمة الرب».قم بتكوين جماعات تعلم الخدمة وقبل كل شيء اتباع الرب. «نأمل بهذه المؤسسة ألا نرسخ أي شيء قاسي وصعب ومتعسف. ولكن إذا دعت العدالة إلى إدخال بعض عناصر الشدة [كما هو الحال مع الأطفال ... ففي بعض الأحيان يجب اللجوء الى الشدة إذا كنا نريدهم أن ينموا]، لتصحيح الرذائل أو للحفاظ على المحبة، لا تدع الخوف يتملكك في الحال، لدرجة أنك تتخلى عن طريق الخلاص [مثل الشاب الغني] الذي في البداية لابد أن يكون ضيقاً. وبعد ذلك، بينما تسير على طريق الحياة في الدير والإيمان [أي في اتباع المسيح]، نركض في طريق وصايا الرب بقلوبنا المتسعة بحلاوة الحب التي لا يمكن التعبير عنها».[43] أولئك الذين يقبلون ويتبعون، خطوة بخطوة، يدركون في مرحلة معينة أنهم يركضون، وأن لديهم الطاقة للركض، لأن لديهم قلبًا متسعًا بحلاوة الحب الذي لا يمكن التعبير عنه، وبالمحبة، لأنهم يشعرون بأنهم محبوبين.

ذات متواضعة وواثقة

عندما نقرأ حدث إقامة لعازر من الموت، في الاصحاح الحادي عشر من إنجيل القديس يوحنا – مشهد من الواضح أنه حدث بعد المشهد الذي رواه القديس لوقا، ربما بعد ذلك بعامين – يدهشنا وجود مرتا من جديد، التي تميزت بطبيعة الحال بمزاجها المعتاد،

[43] مقدمة قانون الرهبنة البندكتية، الصفحات ٤٥-٤٩.

ولكن بـ «ذات» أكثر نضجًا، وأكثر حماسة وهادئة في نفس الوقت.

«فلَمَّا وَصَلَ يسوع وَجَدَ أَنَّهُ في القَبرِ مَنذُ أَربَعةِ أَيَّام. وبَيتَ عَنيا قَريبَةٌ مِن أُورَشَليم، على نَحوِ خَمسَ عَشْرَةَ غَلَوة، فكانَ كثيرٌ مِنَ اليَهودِ قد جاؤوا إلى مَرْتا ومَريَم يُعَزُّونَهما عن أَخيهِما. فلَمَّا سَمِعَت مَرتا بِقُدومِ يسوع خَرجَت لاستِقبالِه، في حينِ أَنَّ مَريَمَ ظَلَّت جالِسَةً في البَيت. فقالَت مَرْتا لِيَسوع: '' يا ربّ، لَو :كُنتَ ههنا لَما ماتَ أَخي. ولكِنِّي ما زِلتُ أَعلَمُ أَنَّ كُلَّ ما تَسأَلُ الله، فاللهُ يُعطيكَ إِيَّاه''. فقالَ لَها يسوع: '' سَيَقومُ أَخوكِ''. قالَت لَه مَرْتا: '' أَعلَمُ أَنَّه سيَقومُ في القِيامَةِ في اليَومِ الأَخير''. فقالَ لَها يسوع: '' أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإِن ماتَ، فسَيَحْيا. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً. أَتُؤمِنينَ بِهذا؟''. قالَت له: '' نَعَم، يا ربّ، إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إلى العالَم''. قالت ذلك ثُمَّ ذَهَبَت إلى أُختِها مَريَمَ تَدعوها، فأَسَرَّت إِلَيها: '' المُعَلِّمُ ههُنا، وهو يَدعوكِ''». [44]

يا له من تناقض متناغم بين مرتا في رواية لوقا وتلك الموجودة في هذا المشهد! «تناقض»، لأنه من الواضح أن هذه المرأة قامت بمسيرة طويلة في اتباع المسيح، والتوبة والهداية التي أثارها اللقاء الأول. لكنه «تناقض متناغم» لأنه من الواضح أيضًا أنها نفس المرأة وأن هداية ذاتها، ونمو قلبها لم يكن قفزة من إنسانيتها، بل مسيرة لانسانيتها، ومزاجها، وعلاقاتها وحتى لعيوبها.

لدرجة أن الكلمة الأولى التي تقولها ليسوع تكاد تكون توبيخاً، مثل تلك المرة: «يا رب، لو كنت هنا ، لما مات أخي!» لكن كل شيء مختلف. لأنه توبيخ حلو مليء بالسؤال، ومليء بالاعتراف بأن يسوع وحده كان ضروريًا للعازر، بالنسبة لهم. وبعد ذلك، يبدو الأمر كما لو أن مرتا قد أصلحت نفسها على الفور، فترجمت على الفور التوبيخ المستتر إلى فعل إيماني يسأل ويتوسل للمسيح بكل شيء دون ظل ادعاء أو نزوة، وبيقين لم يكن لديها من قبل: « ولكن حتى الآن أعلم أن كل ما تطلبه من الله يمنحك الله إياه». يا لها من قوة «الذات» التي تقول «أنا أعرف» لا لتؤكد بغطرسة قدرتها وحكمتها وكفاءتها، بل لتؤكد قدرة آخر (المسيح). فتقول مرتا «أنا» في ثقة تامة بالمسيح، و أكثر من ذلك هي تعي وتدرك أيضًا أن «ذات» يسوع تتأسس بالكامل أيضًا على الايمان والثقة في الآب، ولهذا السبب فهي «أنا» واثقة، إنها نقطة اليقين بالنسبة لها أيضًا، وبالنسبة لنا أيضًا.

يا له من وعي عظيم وناضج لدى مرتا لذاتها وللمسيح بتأكيدها على أن حضور يسوع هو حضور الآب، وأن محبة يسوع هي محبة الآب، وأن ما يفعله يسوع هو ما يفعله الآب. إن ذات مرتا، هي الذات الصغيرة والبائسة لمرتا، تعترف بشفافية تامة بذات المسيح، بالطريقة التي قال بها يسوع «أنا»، العالم تمامًا وأبديًا بأن ما يحدده هو علاقة حبه بالآب في الروح القدس.

وأمام مثل هذه «الذات» المتواضعة والواثقة – وهذا ما يذهلنا في القديسين، ولكن أيضًا في الكثير من الناس بيننا: التواضع واليقين، متحدان بالحب للمسيح –

[44] يو ١١: ١٧-٢٨.

في مواجهة «ذات» متواضعة إلى هذا الحد من المؤكد أن يسوع يشعر بالحرية في الكشف عن ذاته بالكامل، ليُظهر لمرتا كل طبيعته و قوته الإلهية. إن عظمة «الذات» الراسخة في الإيمان، بتواضع وثقة، تكمن في حقيقة أنها تسمح للرب بإظهار «الأنا الكائن» تمامًا، وإظهار ما يعنيه حقًا أنه هو الوحيد الضروري بالنسبة لنا. إن موقف مرتا سمح للمسيح بأن يظهر بكل عظمة وحنان كيانه.

خطوة بخطوة نحو إيمان كامل

«فقالَ لَها يسوع: ''سَيَقومُ أَخوكِ''. قالَت لَه مَرْتا: ''أَعلَمُ أَنَّه سيَقومُ في القِيامَةِ في اليَومِ الأَخير''. فقالَ لَها يسوع: ''أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإِن ماتَ، فسَيَحْيا''. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً. أَتُؤمِنينَ بِهذا؟. قالَت له: ''نَعَم، يا ربّ، إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إِلى العالَم''».[45]

يقود يسوع مرتا، خطوة بخطوة، إلى الإيمان الكامل. أتذكر أن «أبي»، المونسنيور كوريكو، قال قبل أن يموت إنه طلب نعمة واحدة فقط: أن يموت بإيمان كامل. ويقود يسوع مرتا، خطوة بخطوة، إلى الإيمان الكامل. إنه مثل الأم التي تقترح على الطفل نصف كلمة حتى يتعلم إكمالها، وتذكرها كلها، لأنه يتعلم التعبير عن نفسه، ليس كببغاء، ولكن كانسان يعرف كيف يعبر عن «ذاته» كـ «أنا»، وكهوية، وكحرية تؤكد ذاتها. إذا أخبرته الأم بالكلمة، فإن الطفل يردد مثل الببغاء، وبدلاً من ذلك تقول نصف كلمة حتى يدرك الطفل أنه هو الذي يقول الكلمة، فهو الذي يكتشف أنه يعبر عن نفسه. وبالمتابعة بأمان، كأنها تلاوة لأجوبة التعليم المسيحي – ''أَعلَمُ أَنَّه سيَقومُ في القِيامَةِ في اليَومِ الأَخير'' [إجابة صحيحة جدًا وغير متوقعة، لكن المسيح يقودها إلى أبعد من ذلك، أو بالأحرى: يكشف لها أن إيمانها به يتجاوز العقيدة التقليدية لإسرائيل] –؛ وباتباعه بأمانة، وعينيها تنظر إلى عيني يسوع، وقلبها يرنو إلى قلب يسوع، تتلقى مرتا الكشف عن كل شيء بدأت تلتقي به قبل عامين في منزلها، في مساء هذا المشهد الشهير: «أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإِن ماتَ، فسَيَحْيا. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً».

لنتذكر كلمات الأب جوساني: «المسيح، حياة الحياة، واليقين بالمصير الصالح، ورفقته لنا في الحياة اليومية، وصحبته المألوفة التي تحول كل شيء إلى خير: إن هذا يمثل فاعليته في حياتي».[46]

«أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإِن ماتَ، فسَيَحْيا. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً».

إن هذا فقط ما هو نحتاجه ويحتاجه الجميع. هذا هو الشيء الوحيد الضروري. نحن بحاجة إلى حياة تُقيمنا من الموت، ومن كل موت، ومن كل وجه يتخذه الموت والشر في حياتنا الشخصية، وفي الأسرة، وفي جماعة المؤمنين، وفي العالم بأسره.

---

[45] يو ١١: ٢٣-٢٧.

[46] أنظر هنا التدوينة ١٩، ص ٢٢.

إن كل ما تبقى هو آلاف الأشياء التي تُقلقنا وتجعلنا متوترين بدون أن تكون ضرورية، لأنها لا تلبي أبدًا الحاجة الحقيقية لقلبنا ولقلب كل انسان.

حتى الحياة على هذه الأرض ليست ضرورية لنا حقًا، لأنها المسرح الذي تُدرك فيه حاجة القلب، لكنها ليست هي التي تشبعه. لن يكتفي لعازر بالسنوات القليلة التي سيظل يعيشها بعد إقامته من الموت. إننا لا نحتاج إلى الموت أو البقاء على قيد الحياة: بل نحتاج، كما قال يسوع لمرتا، ألا نموت إلى الأبد، أي أننا نحتاج إلى الحياة الأبدية، تلك الحياة التي يمكن للمسيح فقط أن يمنحنا إياها، وأن المسيح وحده هو لنا. عندئذ سيقوم يسوع بإعادة لعازر إلى حياة لعازر، لكن لعازر لم يصنعه الله ويريده ويحبّه من أجل هذا فقط. إن الله الآب لم يريد و يحب أي منا كي نعيش فقط حياة طويلة إلى حد ما. إنه خلقنا من أجله، خلقنا من الله ومن أجل الله، والقلب لن يجد السلام إلا عندما يستقر في الوحدة الأبدية مع الحياة التي هي المسيح، في حضن الآب، بنفخة الروح القدس.

«هل تؤمن أنت؟»

«أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإن ماتَ، فسَيَحْيا. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً».

ما الذي يمكن أن نضيفه إلى هذه الشهادة الكاملة للمسيح عن ذاته؟ ماذا يمكن أن يكون هناك أكثر من هذه الكلمات؟ ما هو أكثر من الكشف الكامل لطبيعة وجود الله التي قدمها لنا بحضوره، والذي ينظر إلينا في أعيننا، والذي هو حاضر بجسده ودمه، ووجهاً لوجه معنا؟ ما الذي يمكن إضافته بعد كل ذلك؟

يبدو أنه لا يلزم إضافة أي شيء. ومع ذلك، لا. إذ هناك شيء مفقود في هذه الشهادة الكاملة، وهذا الكشف الكامل، وظهور الله النهائي هذا للإنسان. ويسوع نفسه هو الذي أوضح لمرتا ولنا: «هل تؤمنين بهذا؟».

من غير المُجدي أن يأتي الله إلى العالم ليعلن عن نفسه على أنه حياة حياتنا، وكحياة أبدية لا يمكن لأي موت التغلب عليها، وكحياة أبدية هنا والآن، ليس فقط في اليوم الأخير، ولكن الآن، وليس فقط من أجل أمواتنا، ولكن لنا نحن الأحياء، لا طائل من كل هذا، ولا جدوى من المسيح نفسه ولا من موته وقيامته، إذا لم أؤمن، وإذا لم أعترف بنفسي كـ «أنت» المؤمن أمام المسيح الذي يلتقي بي ويكشف عن ذاته هكذا.

ما هو تقدير الله لنا كبشر، ولحريتنا، إذا توقف كشف هويته الالهية بتواضع عند عتبة قلوبنا، ووعينا، وعقلنا، وإرادتنا، وذكائنا وحريتنا، ويدع طلب الإيمان به يأتي إلينا تقريبًا مثل أنين متسول، وطلب أن يكون بذاته لنا، ليكون قادرًا على أن يكون الله، وعلى أن يكون القيامة والحياة، وليكون قادراً على أن يكون هو الذي يخلقنا ويفدينا، وهو الذي يمنحنا الحياة والقيامة في الحياة الأبدية!

«هل تؤمن بهذا؟» إن هذا السؤال ليس امتحان من محاكم التفتيش.

إنه استجداء قلب الله لقلب الإنسان، واستجداء حرية الله لحرية الإنسان، وكينونة الله لكيان الإنسان.

لكنه سؤال يجب ألا نبحث عن إجابته في أنفسنا. إن موضوع الإيمان، ومقر الثقة، ليس فينا: إنه في الرب ذاته، إنه الرب ذاته. لهذا السبب، تعبر مارثا عن الإجابة، ليس من ذاكرتها أو من تفكيرها، بل بالأحرى بالترجمة إلى كلمات ما تراه، وما هو أمامها، وما يقوله يسوع عن ذاته من خلال نظره في عينيها بحب، وبرغبته في ملء حياتها بالمعنى، وملء حياتها بذاته: «نَعَم، يا ربّ، إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إِلى العالَم».

تُردد مرتا صدى ما تراه من خبرتها بالمسيح في تلك اللحظة. ويتجلى يسوع لها، إنه بظهوره الإلهي أمامها، وهي تراه وتعترف به، لأن مرتا، ابتداءً من المساء الشهير لثورتها، لم تتوقف عن التحقق من الكلمة التي قالها لها يسوع، والحقيقة التي أظهرها لها بأنه الشيء الوحيد الضروري الذي يريده القلب، والذي يحقق كل شيء، ويملأ كل شيء. والآن نضجت مرتا، ونمت في خبرتها الحياتية هذه، ونمت في إختبارها أن يسوع هو حقًا حياة حياتها.

تعترف مرتا قبل كل شيء بأن هذا الامتلاء حاضر، فهو حضور «الآتي إلى العالم». وليس وجودًا يقف هناك بلا حراك مثل صنم وثني، مثل تمثال. إن المسيح هو حضور الله الذي يأتي إلى هناك حيث يتعرف عليها ويرحب بها ويحبها. وقد عاشت مرتا وما زالت تعيش هذه الخبرة ولهذا السبب لديها قلب واثق، وموثوق في يقينه بأنه إذا كان المسيح هو كل شيء بالنسبة لنا، وكان هو حياة حياتنا، فإن كل عمل حريتنا يتطابق مع حرية الله بالمجيء إلى العالم، ليهب ذاته للعالم، بشحمه ولحمه، ليملأ العالم بالقيامة وبحياة حياة الإنسان، وكل إنسان، في أي وضع أو حالة يوجد فيها، حتى لو كان ميتًا منذ اربعة ايام ويتحلل مثل لعازر.

الاختبار العظيم

الإيمان هو الاعتراف بذلك، ويعيش من أجل ذلك، بعرفان ورجاء. لذلك، كل منعطف من الوجود، حتى لو كان منعطفًا للموت والخطيئة، أو منعطفًا للدمار والشر مثل الحرب في أوكرانيا، أو منعطفًا من الألم والمعاناة مثل جميع المحن والمرض، ومن الظلم والبؤس الذي يصيبنا باستمرار بشكل مباشر أو غير مباشر، ليس أكثر من إعادة طرح سؤال المسيح الذي هو القيامة والحياة على حريتنا الذي يستجدي إيماننا، وقبولنا له ،باعتباره حياة الحياة وحياة العالم: «هل تؤمن بذلك؟»، «هل تؤمن بأني القيامة وحياة حياتك؟»، وحياة حياة الجميع؟ .

الحياة لا تطلب أي شيء آخر. ولا يطلب الله منا أي شيء آخر. إنه لا يطلب منا الطهي جيدًا، أو أن نصل لتقديم العشاء في الوقت المحدد، أو إذا كان بإمكاننا تحريك خمول أختنا. تطلب الحياة منا الإيمان بالمسيح.

وتسألنا الحياة والعالم كله، عما إذا كان المسيح هو حقًا الشيء الوحيد الذي نعترف باحتياجنا إليه، وإذا كان المسيح هو القيامة وحياة حياتنا.

وتطلب منا الحياة أن نكون فضاء هذا التحقق الذي يسمح فيه الإيمان لحضور المسيح أن يكون هو القيامة والحياة السرية والمفاجئة دائمًا لكل شيء ولكل إنسان. كم من شهادات الحياة تحيط بنا حول هذا! كما كتب مؤلف الرسالة إلى العبرانيين: «أَمَّا ونَحنُ مُحاطونَ بِسَحابَةٍ كَثيفَةٍ مِنَ الشُّهودِ، فعلَينا أنْ نُلقِيَ عَنّا كُلَّ ثِقلٍ وكُلَّ خَطيئَةٍ عالِقَةٍ بِنا، فنَجري بِعَزمٍ في ميدانِ الجِهادِ المُمتَدِّ أمامَنا،».[47] كم من أصدقائنا يشكلون هذا الجمع من الشهود، هذا العدد الهائل من الشهود الذين يجعلوننا نفهم، والذين يخبروننا بأن المسيح هو حقًا حياة الحياة، في الموت، وفي المرض، وفي الألم، وفي كل شيء.

من يعيش هذا هو إنسان ذو سلطة. ومرتا في مشهد الإنجيل هذا هي انسانة ذات سلطة ترتب بهدوء كل شيء وكل انسان. إنها بعيدة كل البعد عن تلك المرأة الهستيرية منذ بضع سنوات! إنها ذات سلطة لأنها قامت بترتيب حياتها الداخلية بالفعل أولاً وقبل كل شيء، بالسماح للمسيح بالقيام بذلك. وعندما يضع الانسان مركزًا ثابتًا ومستقرًا، ويوافق على التحقق من تماسكه، يتم ترتيب كل شيء مرتبط بهذا المركز. ويتم تنظيم الحياة بالانسجام والجمال، حتى في خضم ألف اضطراب، عندما نقبل المسيح فينا حقًا، وفي حياتنا، وفي كل الحياة، باعتباره الشخص الوحيد الضروري، وباعتباره الشخص الوحيد الذي يلبي احتياجنا إلى معنى و حياة قلبنا. و يتم اعادة تشكيل وتكوين كل شيء في علاقته به. فيسوع وحده هو الذي يعرف المكان المناسب لكل منا وكل شيء يصنع حياتنا، من الشعر إلى الزوجة، من الأحذية إلى العمل، من القهوة إلى السياسة ... كل شيء.

يأمر القديس بنديكتوس بكل شيء في قانون رهبنته، ويضع كل ما هو انساني للرهبان في نظام متناغم ومنسجم أضاء من الأديرة باشعاعه الثقافة الأوروبية والعالمية. لكن كل هذا النظام المتناغم يحدث ويولد بفعل مركز، مركز لا يمكن أن يفرض، وأن كل راهب مدعو للاختيار والقبول بحرية، لأنه مركز عاطفي، مركز تتوافق فيه حريتي مع الحب الذي يطلب الحب، والتفضيل الذي يطلب التفضيل، والنظرة المثبتة عليَ تطلب تثبيت النظر على المسيح. ويعبر القديس بنديكتوس عن هذ المركز من خلال مطالبة الرهبان «بعدم تفضيل أي شيء على محبة المسيح».[48] وفي مكان آخر يقول أن طاعة الرهبان بدون تردد «هي تخص أولئك الرهبان الذين ليس لديهم ما هو أغلى من المسيح».[49] وأخيرًا، عندما يقوم القديس بندكتوس في الفصل قبل الأخير بتلخيص ما هو أساسي في حياة الرهبان، فإنه يختتم بالطلب منهم «أن لا يفضلون مطلقاً شيئًا على المسيح الذي يقودنا [ها هو الاتباع] جميعًا وسوياً إلى الحياة الأبدية».[50]

---

[47] عبر ١٢: ١-٢

[48] قانون الرهبنة البندكتية ٤: ٢١.

[49] قانون الرهبنة البندكتية ٥: ٢.

[50] قانون الرهبنة البندكتية ٧٢: ١١-١٢.

تنمو الحياة كلها وتنتظم من خلال علاقتها بهذا المركز، بالمقارنة المستمرة مع هذا المركز، وباعادة تكييف كل شيء دائمًا مع التفضيل المركزي للمسيح. وهكذا نمت وكبرت مرتا، حتى أصبح شخصها مشهداً للانسجام الانساني، ولكل إنسانيتها الفياضة، والذي أظهرته في حادثة إقامة لعازر من الموت.

الغرباء الذين يفضلون المسيح

عندما يشهد الأب جوساني أن المسيح هو حياة حياته، فإنه يفعل ذلك في إطار اهتمامه بجميع الأشخاص المتأثرين بموهبته، وهو قلق سبق أن أعرب عنه مرات عديدة أخرى، دائمًا، على سبيل المثال عندما أصر كثيرًا، في ذلك الوقت. الذي كنت فيه أيضًا في الجامعة، في المقطع الشهير (أرجو أن يكون نفس المقطع!) من رواية المسيح الدجال للأديب سولوڤيوف: «خاطب الإمبراطور المسيحيين قائلاً: ''أيها البشر الغرباء [...] قولوا لي بأنفسكم أيها المسيحيون، وقد تخلى عنكم غالبية إخوتكم وقادتكم: ما أعز شيء لديكم في المسيحية؟''. عندئذ وقف يوحنا العجوز وأجاب بلطف: ''أيها الامبراطور العظيم! إن أعز ما نتمسك به في المسيحية هو المسيح ذاته. هو ذاته وكل ما يأتي منه، إذ نعلم أن كل ملء اللاهوت يحل جسديًا فيه''».[51]

أحيانًا أتساءل عما إذا كنا نحن المسيحيين جميعاً: العلمانيين والكهنة والرهبان والراهبات، لا تزال السلطة تدركنا على أننا «رجال غرباء»، و «نساء غريبات»، وإذا كانت السلطة والأيديولوجية الحالية، تشعر بنا كغرباء، غير متوافقين معها و غير قابلين لاستيعابهم في مصالحها ومشاريعها وخططها. لم يخطئ البابا فرنسيس عندما ندد كثيراً بالحياة الدنيوية التي نعيش بها، والتي يعيش بها أيضًا أولئك الذين يجب أن يكونوا مكرسين لتفضيل المسيح بطريقة، إن لم تكن نموذجية، على الأقل ذات مغزى، كعلامة على حياة جديدة ممكنة للجميع. لكن الحياة الجديدة، والمختلفة، و «الغريبة» بالنسبة للعالم تبدأ من الذات، من القلب الذي يلتقي بالمسيح حقًا ويسمح له أن يعلن ويثبت في حياتنا أنه وحده هو الوحيد الضروري حقًا، وهو الوحيد الذي أحتاج إليه، والوحيد الذي أعتز به كثيرًا، وبالتالي هو أعز وأغلى ما لدينا، على وجه التحديد، وهو آخر شيء نتخلى عنه إذا تم أخذ كل شيء منا، حتى الحياة. ويشهد لنا الشهداء بهذا: أن المسيح، لأنه حياة الحياة، هو أغلى من الحياة.

هذه هي الشهادة التي قدمها لنا نيافة المطران كوريكو، أبي في الإيمان، الذي عاش سنوات المرض مشعًا بالحق والفرح والسلام الذي جاء إليه من المزمور ٦٣، الآية ٣، من صلوات تسابيح الصباح في أيام الآحاد أو الأعياد: «لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ».

إن كل شيء يذكرنا بهذا، ونضج الذات في الإيمان هذا الذي يسمح للقائم من بين الأموات أن يكون ملء القلب في جميع ظروف الوجود.

[51] ڤ. سولوڤيوف، «رواية قصيرة عن المسيح الدجال»، الحوارات الثلاثة ورواية المسيح الدجال، ماريتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٦، ص ١٩٠

فمن يدخل في إتباع المسيح بالتحقق في كل شيء بأنه هو القيامة وحياة الحياة، ينمو في علاقة جديدة مع الجميع ومع كل شيء، بعلاقة حرة، لأن من ليس لديه شيء أغلى من المسيح فهو أكثر حرية من الإمبراطور، ويهيمن على كل شيء أكثر من إمبراطور العالم.

ولكن هناك جانب لهذا التحقق نحتاج إلى التعمق فيه بعد ظهر هذا اليوم: مرتا، لم تقم بهذه المسيرة بمفردها. ولم يكن من الممكن لها القيام بها بمفردها. ولا نحن أيضاً.

دعونا نرنم ترنيمة «يا ملكة السماء».

بعد الظهر من يوم السبت ٣٠ إبريل ٢٠٢٢

موسيقى الدخول والخروج:
يوهان سباستيان باخ، المُرَنّمة، «المسيح يرقد في قيود الموت»، بي دبليو في ٤
كارل ريختر – مونشينر باخ بالكورال والأوركسترا العالمية (من أرشيف الانتاج الموسيقي)

التأمل الثاني

الأب ماورو جوزيبي ليبوري

«المعلم ههنا، وهو يدعوك»

فرح وحرية

«''أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإن ماتَ، فسَيَحْيا. وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً. أَتُؤمِنينَ بِهذا؟''. قالَت له: ''نَعَم، يا ربّ، إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إلى العالَم''. قالت ذلك ثُمَّ ذَهَبَت إلى أُختِها مَريَمَ تَدعوها، فأَسَرَّت إِلَيها: ''المُعَلِّمُ ههُنا، وهو يَدعوكِ''».[52]

تحدثنا هذا الصباح عن المسيرة التي قامت بها مرتا، للتحقق، بعد ... انفجار كبير، واستفزاز يسوع، واستفزاز إثبات نفسه أمامها على أنه الواقع الوحيد الذي تحتاجه. قامت مارتا بمسيرة، لأنها تحققت من هذا الرأي، ولكن قبل كل شيء من هذا الحضور، في جميع أزقة حياتها. لقد قامت بالعمل في نفسها، بالعيش مع إعلان يسوع هذا الذي بداخلها، واكتشفت أكثر فأكثر أنه كان صحيحًا، وأنه من الصحيح أن يسوع كان ضروريًا لها أكثر من كل المطالب والادعاءات التي كانت تملأ وتستعبد حياتها وقلبها، وفوق كل شيء. لقد اختبرت التحرر، واتساع القلب، واتساع معنى الحياة ومذاقها. لم يعد هناك شيء الآن يغلقها على ذاتها أو، إذا حدث مرة أخرى، فإن ذكرى ذلك الوجود وتلك الكلمة، والخبرة التي وُلدت داخلها، أعادت فتح قلبها وحررها من القلق والشكوى اللذين حاولا إغراقها دائماً من جديد. لهذا كانت سعيدة. حتى في مواجهة مأساة الحياة، وحتى في الألم والحزن، مثل موت أخيها لعازر، شعرت مرتا بأنها كانت فرحة، أي متحررة من الانغلاق على نفسها الذي كان يخنقها في الماضي.

[52] يو ١١: ٢٥-٢٨.

لم يكن سهلاً هذا العمل. لأنه مع مزاجها، فإن التحقق من أن آخر هو كل ما تحتاجه، والتخلي عن القيام بتدبير نفسها، والآخرين، وما اعتقدت أنهم بحاجة إليه، أدى إلى التخلي عن ذاتها، وإنكار الذات صراحةً. لم يكن مناسبًا لها.

شعار الأخوية، هو عمل للفنان البرازيلي كلاوديو باسترو – الذي تشرفت بلقائه في ساو باولو قبل أشهر قليلة من وفاته؛ فنان مليء بالإيمان أنجز أهم مزار للعذراء مريم في البرازيل، سيدة أباريسيدا، بالنسبة لي واحدة من أعظم عجائب الفن المسيحي المعاصر – يمثل، كما تعلمون، القديس بنديكتوس.[53] كتب باسترو حول صورته نصف جملة مأخوذة من قانون القديس بنديكتوس: «حتى يمكن اتباع المسيح». لم يكن هناك النصف الأول من هذه الآية في الفصل الرابع من القانون، والتي بدت سلبية: «إنكار الذات لاتباع المسيح».[54]

يبدو أن القديس بنديكتوس يريد سحق الأنا بشكل كامل تقريبًا، لأنه لا يقول بإنكار «الذات» فقط، وبل «semetipsum sibi – الذات للذات». من الواضح أن هذا جزء من الزهد الرهباني الذي في زمن القديس بنديكتوس لم يكن يخشى إماتة الذات. ومع ذلك، عندما نرى غالباً أننا نعيش في ظل عبودية «ذات» مغتربة، مليئة بالأكاذيب والأيديولوجيات، ومليئة بالأهواء والنزوات التي تولدها الرفاهية الوقحة وتنسى فقر الآخرين، وكثيرين غيرهم؛ وعندما نرى كيف نُصاب بالعدوى التي يسميها البابا فرنسيس « ثقافة التبذير واللامبالاة».[55] وعندما نرى مقدار الفردية والغريزية التي نواجه بها الحياة، وجماعتنا، وعائلاتنا، وزوجاتنا، وأزواجنا، وأطفالنا، وعملنا، أو دعوتنا في الحياة ... باختصار، ربما لا يضرنا اليوم أيضاً، إلا إذا كانت إماتة «للذات»، التي تجازف بالتعرض لإساءة الفهم وعيشها، على الأقل عمل على «ذاتنا» من شأنه أن يجعلنا ندرك أن تصور «الأنا» باعتبارها الحياة كلها – لأن هذه هي مشكلة الفردية: تصور «الأنا» كإله، معبود حياة الانسان الخاصة – إن هذا ليس موقفًا يؤدي إلى السعادة ، ويقود الحياة إلى تبني معنى يفوقها. والفرح، في الواقع، ونحن نراه عند الأطفال، وهي خبرة «ينفجر» فيها القلب خارج ذات، إذا جاز التعبير.

لكن، أعتقد أن مرتا قد قامت بهذا العمل المتمثل في إنكار الأنا المليئة بذاتها، والأنا المنطوية على ذاتها والتي تطلبت من الجميع الانصياع له. لكنها لم تقم بهذا العمل ولا

---

[53] صورة القديس بنديكتوس مأخوذة من الميدالية التي صممها وصنعها الفنان البرازيلي كلاوديو باسترو (ساو باولو، ١٩٤٨-٢٠١٦) في عام ١٩٨٠ بمناسبة ذكرى ميلاد شفيع أوروبا. وفي نفس العام، منح رئيس دير مونتي كاسينو، مارتينو ماترونولا، أول اعتراف كنسي بأخوية الشراكة والتحرر. يرفع القديس بنديكتوس الإصبع الأوسط وإصبع السبابة وإبهام يده اليمنى للإشارة إلى أقانيم الثالوث الأقدس: دعوة للمشاركة في الحياة. ويشير بيده اليسرى إلى القلب حيث تتحقق فكرة القانون، الحياة الإنجيلية. إن لولبيات الجواهر وحلقة الميدالية هي رموز لديناميكية الإله المتجسد في الإنسان. كتاب «للإقتداء بالمسيح» (قانون الرهبنة البندكتية ٤ : ١٠) في الهامش، مشيرًا إلى مسيرة الإنسان. أنظر أيضا: ج. فيليتشاني، «أخبار تاريخية»، في كتاب الأب لويجي جوساني «عمل الحركة ...»، عمل سبق ذكره، ص ١٩.

[54] قانون الرهبنة البندكتية، ٤ : ١٠.

[55] البابا فرنسيس، عظة القداس الإلهي لافتتاح الاجتماع العام العادي الرابع عشر لسنودس الأساقفة، ٤ أكتوبر ٢٠١٥؛ فرنسيس، رسالة الاحتفال باليوم العالمي للسلام الرابع والخمسين، ١ يناير ٢٠٢١.

هذه المسيرة بقرار وقوة ذاتها. لكان الأمر أسوأ! فأنا أتخيل أن الشياطين مقتنعة بأنهم أفضل الكائنات وأكثرها إيثارًا في الكون، فقط لأنهم يفعلون كل شيء بأنفسهم ومن أجل أنفسهم. لا، فقد استطاعت مرتا القيام بهذا العمل لأنها نظرت إلى المسيح، وتركت نفسها تنجذب إليه، حتى لو ناقضها وعارضها حول المبدأ. لكنه ناقضها بدقة من خلال وضع إصبعه على جرح المفهوم المستقل لتحقيق حياتها والذي كانت حبيسة فيه وجعلها تشعر بالألم والاختناق بتسميم كل شيء فيها وحولها: العلاقات، والعمل، والتدين، كل شيء.

استفزاز مشترك

ومع ذلك ، لم تقم مرتا بتلك المسيرة وحدها، وفي ذلك المساء لم يدعوها يسوع ولم يكشف ذاته لها هي فقط. فقد قامت مرتا بمسيرة عمل على ذاتها داخل إطار صحبة، أي مع أشخاص قرروا القيام بهذه المسيرة معها، بالعمل على بأنفسهم معها.

لأن ما حدث في ذلك المساء، وما قاله يسوع وكشفه، لم يكن مجرد مشاحنات بين مرتا وإياه، ولم يكن حتى لحظة إرشاد روحي بينه وبين مرتا. فالحديث المتبادل الذي دار بينهما أصبح إنجيلاً لأنه قضية تهمنا جميعًا، وقد أثرت على الفور وشارك فيها جميع الحاضرين في ذلك المساء في منزل مرتا. أنا متأكد أنه في ذلك المساء، أن اللقاء الذي حدث الإخوة الثلاثة والمسيح أعطى معنىً جديدًا لمعيشتهم سوياً. ففي الواقع، حتى لعازر ومريم، بعد تصحيح يسوع لمرتا، بقيا صامتين. فقد كان من الممكن أن يغمز كل من مريم ولعازر لبعضهما البعض بابتسامة ساخرة، لأن يسوع انحاز إلى موقفهم بشأن مشغوليات وادعاءات مرتا الأبدية. والأسوأ من ذلك أنه كان من الممكن أن يقولا بصوت واحد: «قلنا لكِ ذلك! انظري، حتى يسوع رأى أنك تضعينا جميعًا في حالة هياج بمخاوفك وادعاءاتك، وبهوسك لتوجيه كل شيء وكل شخص! ».

وبدلا من ذلك، هم أيضا: بقيا في صمت! وهم أيضًا يصغون ويتأملون في أنفسهم. لأن ما قاله يسوع لمرتا – كان هو الحقيقة الوحيدة الضرورية، والمطلوبة – كان أمراً كبيرًا ومهمًا جدًا: فهو لا يمكن أن يكون صالحًا لمرتا فقط! كل واحد منهم تأمل في نفسه، وحتى مريم التي مدحها يسوع أيضًا وشعرت بأنها على ما يرام. بالتأكيد سأل لعازر ومريم نفسيهما: «وأنا؟ هل أعيش حقًا اللقاء مع يسوع معترفاً بأنه الاجابة الضرورية والوحيدة لحاجتي للسعادة والسلام والأخوة والجمال وتحقق الحياة؟ هل صحيح أم لا أنه هو كل شيء لي، أي الجزء الأفضل؟ أَنَّهُ سلامي، أن كلَّ شيءٍ في حياتي مُنْتَظِمٌ حوله وفيه؟ ».

أعترف أنه عندما يخبرنا العلمانيون الذين سقطوا في عواصف العالم أيها الرهبان أننا اخترنا الجزء الأفضل ، مع شعور بالذنب تقريبًا لعدم اختياره أيضًا ، أشعر بالاستفزاز الشديد. لأن لدي انطباع أنه بالنسبة لأولئك الموجودين في الدير غالبًا ما يكون الجزء الأفضل ليس خيارًا دراميًا مثل أولئك الذين يجدون أنفسهم ، إذا جاز التعبير، في حالة غرق كاملة ، على سبيل المثال في العمل ، في الأسرة ، في المجتمع ، في السياسة ...

حتى في مشهد مرتا ومريم، يبدو الأمر كما لو أن مريم تُعطى أفضل جزء على طبق من الفضة، بسهولة بالغة. ومن ناحية أخرى، فإن مرتا مدعوة لاتخاذ اختيار مأساوي، وكما سنرى، فإنها حقًا تقوم بالاختيار، وتضحي حقًا بالموقف الزائف لذاتها. لهذا السبب لديَ انطباع بأن مريم في ذلك المساء فهمت أيضًا أن اختيار المسيح، كان عليها هي أيضًا أن تجدده، وأن تفعله حقًا، بعد استفزاز يسوع أيضًا.

لنفكر في عندما غادر يسوع والرسل ذلك المساء أو في اليوم التالي، ووجدت مرتا ومريم ولعازر أنفسهم وحيدين، في المنزل الصامت، الذي يحتاج إلى إعادة ترتيبه و تنظيفه بعد زيارة مجموعة الاثني عشر من رجال الجليل، الذين كانوا في معظمهم من الفلاحين والصيادين الغير معتادين على آداب السلوك الحميد. من المؤكد أن الثلاثة نظروا إلى بعضهم البعض، في صمت، بمزيج من الحزن والهدوء والامتنان والسلام السعيد في الداخل. حزن سعيد، لأنه توق لخير اختبروه بامتنان لكن بلا امتلاك كامل على الاطلاق. ونظر الثلاثة إلى بعضهم البعض بحنان لم ينظروا به إلى بعضهم البعض من قبل. لقد أحبوا بعضهم البعض، ويتضح لنا هذا من كل مشهد في الإنجيل يظهر فيه هؤلاء الإخوة الثلاثة، لكن ذلك الحنان لم يكن موجودًا من قبل. فقد كان واضحًا لجميع الثلاثة، حتى بدون أن يقولوا ذلك لبعضهم البعض – ولكن بعد ذلك ربما قالوا ذلك فيما بينهم – أن حياتهم لم تعد كما كانت في الماضي، وأنهم دخلوا في أخوة وألفة مختلفتين، وأن ذلك المنزل المألوف لهم، الذي عاشوا فيه ربما منذ سن مبكرة مع والديهم، ومع أجدادهم، والذي فيه كبروا وترعرعوا معًا ...، قد أصبح مكانًا جديدًا، وفضاءً جديداً، ومكان مقدس، مثل المعبد، فضاء للعيش فيه مثل العيش في معبد. وأدركوا أن الشيء الجديد بينهم وبين منزلهم وُلِدَ في تلك اللحظة بالذات عندما قال يسوع لمرتا، مستفيدًا من رثائها – ولكن كان بإمكانه وعرف كيف يستفيد من أي شيء آخر – وُلِدَ في تلك اللحظة التي كشف فيها يسوع عن لمرتا، ولكل الذين كانوا يصغون له، أن قلب كل إنسان قد خُلِقَ له باعتباره الوحيد الضروري، وباعتباره الجواب الوحيد على احتياجنا إلى الحياة وإلى كل ما هو انساني يُشكل قِوام من نحن.

لأن هذا دائمًا ما يحدث في لقائك بالمسيح، إذا قابلته حقًا. ويقول يسوع ذلك بطرق عديدة، ويجعل الناس يختبرونه بالعديد من الطرق، لكن الأمر يتعلق دائمًا بهذه الخبرة. ها كم ثلاثة أمثلة في الإنجيل:

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ». [56]

أو عندما «أَجابَها يسوع: ''كُلُّ مَن يَشرَبُ مِن هذا الماء يَعطَشُ ثانِيَة .وأَمَّا الَّذي يَشرَبُ مِنَ الماءِ الَّذي أُعطيهِ أَنا إِيَّاه فلَن يَعطَشَ أَبداً بلِ الماءُ الَّذي أُعطِيهِ إِيَّاهُ يصيرُ فيه عَينَ ماءٍ يَتفَجَّرُ حَياةً أَبَدِيَّة''». [57]

[56] مت ١١: ٢٨-٣٠.

[57] يو ٤: ١٣-١٤.

أو في فقرة أخرى من يوحنا: «وفي آخِرِ يَومٍ مِنَ العيد، وهُو أَعظَمُ أَيَّامِه، وقَفَ يسوع ورفَعَ صَوتَه قال: ''إن عَطِشَ أَحَدٌ فليُقبِلْ إِلَيَّ. ومَن آمنَ بي فَلْيَشرَبْ كما ورَدَ في الكِتاب: ستَجْري مِن جَوفِه أَنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ''. وأَرادَ بِقَولِه الرُّوحَ الَّذي سيَنالُه المؤمِنونَ بِه، فلَم يكُنْ هُناكَ بَعدُ مِن رُوح، لأَنَّ يسوعَ لم يَكُنْ قد مُجِّد».[58]

جِدة الأخوية في المسيح

أن الإخوة الثلاثة عملوا معًا في هذا الحدث، وتوافقوا معًا مع هذا الجديد، وأنهم قاموا بمسيرة معًا، لا نراها فقط منذ النضج الذي أظهرته مرتا عندما جاء يسوع إلى قبرلعازر. ونرى ذلك أيضًا بشكل خاص من خلال علاقتها الجديدة مع أختها مريم. تكفي تفصيلة واحدة لفهم أن الأختين لديهما علاقة جديدة، لأن مرتا، بعد لقائها وحوارها مع يسوع الذي أظهر لها على أنه القيامة وحياة الحياة، تذهب وتنادي أختها بطريقة تدل على العلاقة الجديدة بينهما، العلاقة الجديدة التي تنمو في أولئك الذين يتحدون معًا للتحقق من أن المسيح هو الضروري للقلب والحياة، العلاقة الجديدة لأولئك الذين هم معًا لأن يسوع المسيح موجود، لأن المسيح هو كل شيء. قال لها، «المعلم هنا وهو يناديكِ».[59]

نجد في هذه الكلمة كل الجديد الذي أتى به المسيح إلى العالم، وهو شيء جديد في العلاقات، أخوية، وأخوة جديدة، وصداقة التي لا يمكن للعالم تصورها، وقبل كل شيء مستحيلة بدون المسيح. نادت مرتا مريم لتخبرها بأن يسوع يدعوها، وتنقل إليها دعوة الرب الحاضر. إنه هنا ويدعوكِ، ويريدك، ويريد مقابلتِك. تعرف كلتاهما الآن أن يسوع هو الوحيد الضروري، وحياة الحياة. إنهما متحدتان في هذا الإدراك، في إيجاد الاشباع التام للقلب في المسيح.

«المعلم»: يمتليء هذا اللقب بالنسبة لمارتا بكل سلطة المسيح – الذي يعني اشتقاقيًا «يُنمي» – أي حقيقة أن العلاقة معه، والاصغاء إليه، تجعلنا ننمو، وتجعل الحياة تنمو، وتوسع القلب، وتقودنا الى حقيقة كل شيء، في العلاقات والعمل والعواطف والضعف البشري وحتى الموت والألم بسبب موت لعازر أو موته هو. فالآن «المعلم» بالنسبة لمرتا هو «القيامة والحياة»، هو الحاضر ليقيمك من الموت، ويجعلك تحيا حياتك بالكامل. وكما تقول القديسة الأم تيريزا من كلكوتا عن «المعلم» إنه يسوع الذي هو «الحياة – التي علينا أن نعيشها»، «الحب – الذي علينا أن نُحبه»،[60] والعديد من الصفات والمواقف الأخرى التي نحن مدعوون لادراكها واستيعابها من سلطان نعمة حضوره، ومن حبه لنا، ونظرته إلينا.

---

[58] يو ٧: ٣٧-٣٩.

[59] يو ١١: ٢٨.

[60] «لنصبح جميعاً غصناً حقيقياً و مثمراً في كرمة الرب، بقبوله في حياتنا بالشكل الذي يحب أن يأتي به إلينا: [...] كحياة علينا أن نعيشها؛ و حب علينا أن نحبه» (الأم تريزا، المسيرة بسيطة، أ. موندادوري، ميلانو ١٩٩٥، ص ١٧).

لا يمكن أن يكون هناك اتحاد أعمق وأصدق، ولا يمكن أن تكون هناك أخوّية أجمل وأكثر صلابة من تقاسم هذا الإيمان وهذه الرغبة، هذا الإيمان الذي هو رغبة فيه ورغبة واحتضان له، ولا يمكن أن تكون هناك عطية متبادلة أكبر ولا يمكن أن تكون هناك وحدة غير قابلة للتدمير أكثر من دعوة بعضنا البعض إلى حضور يسوع الذي يرغب في تقديم إجابة وإشباعًا لرغبتنا الأساسية في الحياة. مرتا ومريم متحدتان بصمت وعمق في الوعي بأن وجود يسوع هو حياة الحياة ، لهما ولكل انسان، وحتى بالنسبة للموتى مثل لعازر، الذين يخبرونه بنفس الشيء عندما يصِلون أمامه، في لحظات مختلفة ويعبرون له عن نفس الوعي ونفس الرغبة في حياة الحياة التي هي هو: «يا ربّ، لَو :كُنتَ ههنا لَما ماتَ أَخي!».[61]

مشاركة خبرة التحقق بأنه هو كل شيء

إنني أُبرز كل هذا لأنه يبدو لي أنه في هذه الأحداث، وفي هذه الكلمات، نجد في هذه الشخصيات الإنجيلية النموذج الوجودي للكنيسة، ورفقة الناس، والصداقة والأخوة التي فيه كل واحد منا هو عطية ومطلوب منه الوصول إلى عمق خبرة لقاؤه بالمسيح حتى يعيش ملء إنسانيته، ملء ونضج الذات الذي يغير العالم، ويجدد كل شيء بالتوافق مع حدث المسيح والشهادة له. لا شيء يشهد للمسيح وأنه هو كل شيء للإنسان أكثر من شخص يستثمر حياته في التحقق من هذا الاقتراح، والذي ينمو من خلال التحقق من اقتراح المسيح هذا ا لقلبه، من المسيح الذي يقول للقلب ، أنا كل شيء لك وللجميع!

بل وأكثر من هذا، أو بالارتباط بهذا بلا انفصام، لا شيء يشهد للمسيح والامتلاء الذي هو بالنسبة للإنسان أكثر من صحبة ورفقة من الأشخاص المتحدين في خبرة التحقق هذه؛ في خبرة الشعور هذه بأنهم مدعوين من الذي هو الضروري الوحيد للتحقق من أن القلب والحياة لا يحتاجان إلى شيء آخر سواه. والشركة المسيحية هي على وجه التحديد مشاركة في التحقق (حرفياً: جعلها حقيقة، وواقع) أن المسيح هو كل شيء لقلب الإنسان.

لا يمكن لنا الاتحاد إلا بالشيء الأغلى قيمة والأعز والأكثر تفضيلاً. ولا شيء يجب أن يجعلنا مسؤولين أكثر من وحدتنا أمام العالم كله. لأن سبب وحدة التلاميذ هو خبرتهم بأن المسيح هو كل شيء لقلب كل إنسان، وأن المسيح هو حياة حياة كل إنسان، وإذا عشت هذه الخبرة، المدهشة للغاية والمجانية، والتي لا أستحقها، فأنا أصير مسؤولاً في الحال تجاه كل قلب انساني. وإذا اختبرت أن الأخوة التي أعيشها مع أولئك الذين وضعهم الله بجانبي تجعل التحقق من أن المسيح هو الواقع الوحيد الضروري للإنسان أكثر واقعية وحقيقية، فإن الوحدة نفسها مع إخواني وأخواتي تصبح مسؤولية عالمية تجاه العالم أجمع. بعبارة أخرى، لكن علينا التعمق في ذلك: فإذا قلت لمن حولي:

[61] يو ١١: ٢١ و ٣٢.

«المعلم هنا وهو يدعوك» ، «المسيح، القيامة والحياة، حاضر ويدعوك»، في الواقع أنا أقول ذلك للجميع وأبلغ بحضور المسيح ودعوته إلى العالم أجمع. ليس لأنني ماهر، أو لأنني معروف عالميًا، أو لأن الشخص الذي أبلغه بذلك مهم، ولكن بسبب طبيعة المسيح وبما هو حتى عندما يجلس في مطبخ منزلي، وحتى عندما يكون حاضرًا وسط جماعتي أو عائلتي المُتداعية.

إن المسكونية التي تُعاش بهذه الطريقة هي مسؤولية عالمية للمسيحيين، وهذا هو ما يدين به كل المسيحيين للعالم كله. ففي الواقع، كلما تشاركنا في هذه الخبرة، كلما تحققنا معًا أكثر من أن المسيح هو حقًا كل شيء، وأنه كل شيء لجميع البشر. إن مشاركة هذه الخبرة، وهذا التحقق، لا يُنقِص، بل يُبرِز شمولية المسيح لكل انسان ولكل قلب.

كما قال تلميذي عمواس الواحد للآخر: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِباً فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟»[62]. يا لها من شركة عميقة ورقيقة بين هذين التلميذين من عمواس عندما شاركا خبرتهما بأنه فقط عندما يكون المسيح حاضرًا، وعندما يكون المعلم حاضرًا، يتوهج قلب الانسان بالامتلاء! إنهما لم يختبرا أبدًا صداقة قوية بينهما كما حدث في تلك المسيرة مع يسوع، وهناك من لا يستبعد أنهما كانا زوجًا وزوجته، أو على أي حال تلميذان ارتبطا منذ سنوات بعلاقة، ربما كانت علاقة مرتبطة بالعمل، أو السكن، أو القرابة، أو الصداقة. لكن قبل ذلك لم يكونا متحدين هكذا؛ فقبل ذلك، في الواقع، كان هناك بينهم رثاء وخيبة أمل حتى عن المسيح الذي مات بهذه الطريقة التي لم يستحقها، بدون أن يفي بالوعود التي نسبوها إليه حتى يحقق توقعاتهم، ربما كلها وعود صالحة مثل تحرير إسرائيل: «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ...»[63]. وهما أيضًا، مثل مرتا التي كانت تتوقع من يسوع في تلك الليلة أن ينشط أختها لمساعدتها، بركلها لتنهض للعمل ...

يا له من قليل نتوقعه من المسيح عندما لا نسمح له أن يكشف لنا أنه كل شيء للرغبة الأعمق فينا!

رسالة الأخوة

تقوم مرتا، التي تنقل إلى مريم دعوة المعلم الحاضر، بمشاركة أختها في الانفتاح على المسيح الذي يسمح له أن يمنحنا كل حياته لنا. إنهم يشتركون في الإيمان والرجاء الذي لا يضع حدودًا لهبة المسيح إلى العالم. فمن خلال العيش في شركة مثل هذه فقط يمكننا حقاً أن نكون مبشرين.. فقد أتى المسيح للقائنا، وأتى ليدعونا.، وأتى ليخلص العالم.، بلا حدود. إنه لم يأتِ ليحرر إسرائيل فقط، أو ليضع النظام والانضباط في بيت مرتا فقط. ومع ذلك، فإننا نضع هذه الحدود دائمًا تقريبًا، ونقوم بهذا الاختزال لحدث المسيح.

62 لو ٢٤: ٣٢.

63 لو ٢٤: ٢١.

فنحن لا نختزله كثيرًا في حد ذاته، لأننا بالكلمات نؤمن أن المسيح هو ابن الله، المتجسد الذي مات وقام من بين الأموات من أجل خلاص العالم كله. نحن نختزله في القليل الذي نسمح به لهذا الحدث لتغيير حياتنا، ولملء حياتنا. إننا نود أن يتوافق مع مدى رغبتنا المحدودة، والتي لا تُقارن بالرغبة في الخلاص اللامحدود الذي يحمله المسيح في قلبه. الرغبة التي لديه لي أيضًا! لا يريد المسيح أن يستخدمنا لخلاص العالم بتخطي حاجتنا للخلاص. إنه العكس تمامًا: فالمسيح يخلص العالم كله من خلال خلاص حياتي، ومن خلال إمتلاء قلبي وقيامة حياتي. «أنا القيامة والحياة»، لكن ليس فقط إقامة لعازر من بين الأموات: وإقامة حياتك أنتِ أيضاً يا مرتا! وأبدأ بكِ ثم كل من ستلتقين بهم، مثل أختك بعد قليل. «أنا هو القيامة والحياة» شخصيًا، وبالاطلاق، وبالتالي للجميع، لجميع البشر! فإذا تفجرت حياتي فيك، فلن تكون قادرًا على عيشها بدون احتضان العالم وبدون التوق إلى الخلاص الشامل، وهو اشتياقي الذي جعلني أموت طواعيةً على الصليب من أجلكم!

يا له من نمو انساني غير عادي، نمو مرتا ومريم، الذي تحول من المنافسة والمطالبات المتبادلة – لدرجة أنه بدا أنه حتى يسوع كان سببًا للخلاف والغيرة بينهما – إلى الوعي الناضج بأن تقاسم قيمة المسيح تجعله أثمن وحاضر لكل منهما. أي خبرة مشاركة المسيح تجعلني أكثر تلقياً له.

لم تعد مرتا تشكو الآن إذا جلست مريم في المنزل عندما تكون هناك للكثير من الأعمال للترحيب بكل الناس الذين يأتون للتعزية في وفاة لعازر، ولن تشتكي عندما تصب مريم قريبًا كل هذا الناردين الثمين على قدمي يسوع.[64] وتعيش مرتا في سلام مع الحياة التأملية المجانية لأختها، تمامًا كما هي في سلام مع دورها كسيدة تعمل بيديها، لأنها أدركت، بل أنهما في كل الأشياء تتقاسمان الكنز الأغلى، الذي يعطي قيمة غير محدودة لأعمالها المنزلية كما هو الحال مع حياة التأمل لمريم الخالية من العمل اليدوي. لا شيء يمنعها من أن تجد في المسيح الحاضر امتلاء قلبها: فباقي الأشياء هي مجرد مشهد لهذه الخبرة.

ومع ذلك، علينا القيام بهذا التحقق حول حياتنا الأخوية ووحدتنا وصداقتنا، ليس فقط مع جماعتنا، ولكن أيضًا مع الزوج أو الزوجة ومع الأبناء والأصدقاء والزملاء، وكذلك مع الأعداء والمنافسين. يجب أن نسأل أنفسنا دائمًا: هل هناك مساحة في كل هذه المجالات للمسيح الحاضر الذي هو حياة الحياة، وامتلاء القلب وهو كل إنسانيتنا؟ هل هناك مكان مركزي للمسيح في حياتنا، وفي علاقاتنا، وفي لقاءاتنا، حتى في اللقاءات الترفيهية، أو في خلافاتنا ونزاعاتنا؟ هل هناك موضع مركزي للمسيح في أزمات علاقاتنا؟ هل هناك مكان مركزي للمسيح الحاضر حقًا حتى في أزمات تصورنا لعلاقاتنا، وفي معنى بقائنا سوياً، وسيرنا معًا؟ هل هناك مكان مركزي للمسيح، على سبيل المثال، في اختلافنا في تفسير موهبة أو رسالة أو دعوة؟

[64] يو ١٢: ١-١١.

إن شهادة القائم من بين الأموات، التي جوهر كل حضور تبشيري، حتى بين الجدران الأربعة لدير أو لمنزلنا، تشع باعترافنا في وسط كل شيء، على الأقل كتسول، بأن المسيح، المعلم، والرب والقيامة وحياة الحياة هنا ويدعونا.

كتب مونسنيور مونتيني، البابا القديس بولس السادس المستقبلي، في بداية خدمته بصفته رئيس أساقفة ميلانو، رسالة رعوية عن الصوم الكبير، بعنوان مأخوذ من عبارة للقديس أمبروزيوس: «Omnia nobis est Christus – كل شيء هو المسيح بالنسبة لنا».[65] إنها رسالة علينا قراءتها كلها من جديد – أعتذر عن عدم امكانية قراءتها نظراً لضيق الوقت – لأنها تؤكد بوضوح متصل دائماً بواقعنا على أن الحاجة الملحة للكنيسة والعالم هي استعادة الوعي واختبار أن المسيح وحده هو الضروري. أندهش عند التفكير بأن مونسنيور مونتيني نشر هذه الرسالة بعد أشهر قليلة من صعود الأب جوساني، في شهر أكتوبر السابق، على درجات السلم الشهيرة لمدرسة بيرشيه الثانوية ليبدأ، دون أن يعلم ذلك، الحركة التي قصده اليها الروح القدس. . أتخيل كيف كانت كلمات رئيس أساقفته تتردد في قلب الأب جوساني حول الضرورة المطلقة للمسيح.

يقدم مونسينيور مونتيني في هذه الرسالة تعريفًا لعيد الفصح الاستثنائي، لأنه يجعلنا نفهم كيف يجب أن يشملنا: «إن عيد الفصح [هو] إعلان حاجتنا إلى المسيح، حياتنا».[66]

الصداقة الحقيقية

«المُعَلِّمُ ههُنا، وهو يَدعوكِ».[67]

علينا فهم هذه الكلمات بكل قوتها. لأنها تحدّد جوهر الشركة المسيحية، وتلك الصداقة، وتلك الأخوة التي لا يمكن تحقيقها إلا بحدث المسيح وهذا يجعلنا هؤلاء «البشر الغرباء» الذين يتحدث عنهم الامبراطور سولوقييف، لأنه ليس لديهم ما هو أعز من المسيح. وكما ذكرت سابقًا، في هذه العبارة، تضع مرتا كل شيء، وكل لقائها بمسيح القيامة والحياة، وبالتالي كل إيمانها به: « نَعَم، يا ربّ، إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إلى العالَم».[68]

ومن خلال دعوة أختها بهذه الطريقة، تترجم مرتا اعترافها الشخصي بالمسيح إلى علاقة جديدة معها. إنه لأمر رائع أن ترى التطابق بين ما قالته للتو عن يسوع: "إِنِّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إلى العالَم» وما تقوله بعد ذلك لأختها: «إنه ههُنا، وهو يَدعوكِ»، أي أنه أتى من أجلك. من يعترف بالمسيح حياً وحاضراً تكون له علاقة جديدة بكل شيء، وقبل كل شيء مع الجميع، بدءاً من العلاقات التي تشكل نسيج حياته بالفعل.

---

65 القديس أمبروزيوس، عن البتولية ١٦، ٩٩.

66 ج. باتيستا مونتيني، كل شيء هو المسيح بالنسبة لنا، رسالة رعوية لرئيس أساقفة ميلانو، الصيام الكبير، ١٩٥٥.

67 يو ١١: ٢٨.

68 يو ١١: ٢٧.

إنها العلاقة الجديدة التي شهد بها أندراوس في الحال لأخيه سمعان بطرس: «وكانَ أَندرَاوُس أَخو سِمْعانَ بُطرس أَحَدَ اللَّذَينِ. سَمِعا كَلامَ يوحَنَّا فَتبِعا يسوع. ولَقِيَ أَوَّلاً أَخاهُ سِمْعان فقالَ له: ''وَجَدْنا المَشيح'' ومَعناهُ المسيح. وجاءَ بِه إِلى يَسوعَ فحَدَّقَ إِلَيه يسوعُ وقال: ''أَنتَ سِمْعانُ بنُ يونا، وسَتُدعَى كِيفا''، أَي صَخراً».[69]

ما الذي يغير العلاقات المعتادة والمستخدمة في كثير من الأحيان، والتي تُهدر بفعل الزمن والروتين وعدم الرضا الذي نتعامل به مع بعضنا البعض، حتى وخاصة مع الأشخاص الذين يرتبطون بنا من خلال الدعوة: الزوج و الزوجة والأبناء والاخوة والاخوات في الجماعة ...؟ ما الذي يغير العلاقات؟ ربما لأنني أصبحت أفضل، وأقل إزعاجاً، وأكثر سخاءً، وأقل مللاً؟ لأنني أصمت أكثر من أن أنتقد دائماً؟ ولكن في كثير من الأحيان، من خلال التزام الصمت بالتحديد، أسمح للعفن، إن لم تكن الأعشاب السامة، بالنمو بيني وبين الآخرين ... لا! إن ما يغير علاقاتي هو حضور من يملأ قلبي. فقد التقى أندراوس بالذي يروي كل عطش قلبه، وفي لقائه ببطرس أدرك أن المسيح يملؤه كثيرًا، وقد أصبح عزيزًا عليه وثمينًا جداً لدرجة أنه يملأ حتى كل ما ينقصه أو ما تدمر بينه وبين أخيه الأكبر الخشن. وقد نجح في إعطاء المسيح لسمعان بطرس لأن وجود يسوع فيه، وفي قلبه، هو بالفعل عظيم جدًا، وحقيقي للغاية، لدرجة أن بطرس ينغمس فيه بكل قلبه وحياته، لدرجة أنه يصبح انساناً آخر: «أنت يا سمعان بن يوحنا، ستدعى صفا». هذا لا يعني أنه لن يكون سمعان بن يوحنا بعد ذلك. سيبقى بطرس هو نفسه في الخير أو في الشر حتى بعد عيد العنصرة. ولكنه انسان آخر لأنه تدخل، وتظهر في حياته الهوية الأبدية التي له أمام المسيح، ويظهر ما هو عليه بالنسبة للمسيح، منذ الأزل وإلى الأبد. وإذا كان المسيح حاضرًا، يحدث ما هو أنا بالنسبة له، وهو ذات أكبر من ذاتي، إنه يحددني أكثر من أي شيء آخر، أكثر مني لذاتي. إذا كان المسيح حاضرًا، فإنه يجعل ما أنا له علاقة بي. وإذا احتفظت به حاضرًا، فأنا أسمح له بجعلي ما أنا عليه من أجله.

«المُعَلِّمُ ههُنا، وهو يَدعوكِ». إن المسيح ينتقل بيننا، وقد تم نقله إلينا ونقله بيننا، من خلال صدى دعوته التي أصبحت علاقاتنا، حتى الأكثر ألفة وحميمية. إن المسيح هو الذي يدعو مريم ، ولكن مرتا هي التي تصبح لمريم هي الناقل الزمني والجسدي لدعوة الإله الأبدي. المسيح حاضر، وتقول مرتا لمريم: «إنه هنا!». دعا المسيح مريم، وقالت مرتا لمريم: «إنه يدعوكِ!». ولا تضيف أي شيء، ولا تعلق ، ولا تفسر أي شيء. إن شخصها وجسدها وصوتها ونظرتها ورعشة أنفاسها المرهقة قليلاً والعرق الذي يتصبب على جبينها وعيناها اللامعتان ... كل شيء فيها يصبح فقط ناقلاً للمسيح الذي يدعو أختها. لقد أصبحت مرتا تجسيدًا لحضور ودعوة المسيح لأختها، ومحبة المسيح ومحبة الله لكل إنسان.

«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا.»[70]

---

[69] يو ١: ٤٠-٤٢.

[70] يو ١: ١٤.

وتصبح الخبرة التي عاشتها العذراء مريم بعد بشارة الملاك لها وهي ذاهبة لزيارة أليصابات، هي الخبرة اليومية للشركة الكنسية، أي للكنيسة. فقد لاحظت أليصابات ذلك بدهشة، وتأثرت وتحركت في جسدها كامرأة وأم: «فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي!»[71] إن حضور المسيح في وسطنا حقيقي لدرجة أننا نختبره جسديًا أيضاً.

ليس تبشيراً، بل انجذاب

لكن حضور يسوع بيننا ليس انتقالًا آليًا. لماذا؟ لأنه انتقال بين المسيح الحاضر وحرية الآخر. لم تذهب مرتا لتقول لأختها: «اذهبي فورًا فيسوع هناك! يجب ألا تفوتك الفرصة!». لا، إنها لا تقدم المسيح كتعويذة إذا لم تلمسيها ستجلب لكِ الحظ السيئ. إنها تقدم المسيح على أنه الشخص الذي يقدم نفسه أولاً لحريتنا، ويجذبنا إليه بمحبة متواضعة، وبحبه المتعطش إلى قلوبنا، والمتعطش لعطش قلوبنا. فحتى المرأة السامرية، وزكا العشار، ونيقوديموس واللص الصالح، المسيح لم يغيرهم عن طريق التبشير، كما قال البابا فرنسيس والبابا بندكتوس بصوت واحد، ولكن عن طريق الانجذاب، عن طريق انجذاب حريتنا للمسيح نفسه. فالمسيح يجتذب الحرية. إنه لا يجذبنا بإطراءنا بأشياء أخرى، وعلى ما قد نهتم به، وعلى الأهواء والنزوات التي في داخلنا، ولكنه يجذب الحرية. لذلك هو جاذبية تقترح عليك خطوات، وتحترم أسئلتك، وترددك (ويقضي الليل في الحديث مع نيقوديموس)، حتى تستسلم، ليس لقيد، بل لحب بلا حدود، ولدليل الحب اللامتناهي. لذا دعونا نفكر في صبر أولئك الذين ولدونا في الإيمان، وفي الخبرة المسيحية، أي صبر انتظار حريتنا لكي تنمو، وتقول نعم!

وتذهب مرتا إلى أختها التي كانت متشبعة بجاذبية المسيح. لكن هل تتخيلون جمال الرب وجاذبيته لقلب الانسان، في اللحظة التي يقول لها فيها، وهو يحدق في عينيها: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ!»[72] – تخيلوا: إنه الجمال المطلق؛ تسعى جميع الأيقونات التعبير عن هذا –. وهو يقول ذلك على وجه التحديد باعتباره انجذاب الله للإنسان، لأنه لا يقول الكثير لتعريف نفسه، ولكن لتحديد العلاقة معنا، وتأثير هذا الجمال المطلق علينا. في الواقع يضيف على الفور: «مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ!»[73] إنه يقدم لنا حياة لا تموت ولا تموت إلى الأبد! وهذه الحياة هي هو.

ما الذي يمكن أن يجذبنا أكثر من ذلك؟ بل: ما الذي يمكن أن يجذبنا إن لم يكن هذا ؟!

هاهي الشهادة، باعتبارها جوهر العلاقات الحقيقية والصداقة الحقيقية والأخوة الحقيقية، أي باعتبارها جوهر الشركة الكنسية، تنقل هذا إلى حرية الآخر، وتقترح هذا من حريتي التي جذبها المسيح إلى حرية الإنسان الآخر المدعو ليس مني بل من المسيح.

---

[71] لو ١: ٤٤.

[72] يو ١١: ٢٥.

[73] يو ١١: ٢٥-٢٦.

«المُعَلِّمُ ههُنا، و[هو!] يَدعوكِ».

إذا كان لدينا هذا الوعي بالعلاقات، وهذا الحكم على غريزتنا في العلاقات، لكانت جماعاتنا كالشمس الساطعة، حتى لو كانت صغيرة، وصغيرة جدًا، وحتى متداعية، في وسط عالم يكون فيه الانجذاب والحرية عبيداً الواحد للآخر، وبالتالي لا يتنفسان، ولا يكونان صداقة، ولا يوسعان قلبيهما وحياتهما. وفي العالم تنصهر الجاذبية مع الحرية، وبالتالي لا يتحركان ولا يغيران الحياة.

نشكر الله على العدد الذي لا يُحصى من الشهادات الإيجابية عن هذا! كم هو مدهش أن مثل هذه الحقائق منتشرة في الكنيسة، وفي الأخوية وفي الحركات وفي الرهبانيات. هكذا تعيش الكنيسة وتحول العالم، فالكنيسة هي ملح وخميرة في عجينة العالم. ليس لأننا نحب بعضنا البعض، بل لأننا نحب بعضنا البعض بهذه الطريقة، بطريقة حتى أن العناق بين الزوج والزوجة يُضفي جوهرًا على هذه الدعوة، ويعبر عن ما نقوله لبعضنا البعض، مثل مرتا لمريم ومثل أندراوس لبطرس ومثل المرأة السامرية لأهالي بلدتها، أن المسيح حاضر وجذبك إليه ويدعو حريتك للذهاب إليه ليكون القيامة وحياة حياتك. إن محبة بعضنا البعض بهذه الطريقة تجعل الكنيسة ملح الأرض ونور العالم.

ليس هناك عناق، ولا صداقة ولا أخوة أعمق وأكثر حميمية من هذا. لماذا؟ لأن ذلك يعني أن ما يوحدنا وما يضمنا (حتى بين الزوج والزوجة)، هو، كما يقول القديس أغسطينوس، [74] ما هو أكثر حميمية لي من ذاتي، وما هو أكثر حميمية لك من ذاتك وما هو أكثر حميمية لنا أكثر من أنفسنا: إن الامتلاء الذي خُلِقَ من أجله القلب الذي يُشبعه المسيح والله والله في المسيح.

إن هذه القوة، وعمق العلاقات هذا ينتصر على الموت وعلى الانفصال بيننا الذي يبدو أن الموت يخلقه. ولأنه حضور القائم من بين الأموات والذي يقيمنا وهو حياة الحياة فهو وجود القائم من بين الأموات الذي يدعو أيضًا من خلال الموت ومن خلال الانفصال. إن من يجذب قلبي هو نفسه، نفس الحضور الذي يجتذب المحبوب إليه في الموت وعبر الموت. إن منيجذب قلبي إليه هو نفسه من يجذب الشخص الذي أحبه إلى الحياة الأبدية.. إن الموت هو العلامة الغامضة على حتمية دعوتنا، العلامة النهائية على أننا لا نحتاج لشيء سواه لنعيش. وإذا كان هذا هو ما يوحدنا وإذا كان هذا هو الواقع الذي يوحدنا بالقلب وليس بالرأس، عندئذ، وحتى في الألم الذي لا يمكن أن لا يشعر به الإنسان، فإن الواقع يجدنا أكثر اتحادًا. .، في المسيح وفي الحياة. في النهاية، لا يزال يتعين علي القيام بمسيرة بهذا المعنى، ولا يزال يتعين علي القيام بالمسيرة التي قامت بها مرتا، نحو المسيح وبالتالي نحو أختها أو أخيها، ولكن الحقيقة هي أن من هو أكثر بحضور المسيح هو حاضر لي أكثر من نفسي وأقرب إلى حقيقة قلبي من نفسي . . .

[74] «... أنت أقرب لي من ذاتي وأسمى من الأسمى في داخلي» (القديس أغسطينوس، الإعترافات، الفصل الثالث، ص ٦، فقرة ١١.

ينبوع الجاذبية

إن هذه الأخوّة التي تنقل دعوة المسيح الحاضر وامتلاء القلب، هي الرسالة داخل الكنيسة وخارجها وفي كل جماعة وفي كل واقع كنسي. و واجب الكنيسة أن تعيش هذه الأخوة. فهي أيضًا جوهر كل موهبة. وإذا تأملنا جيدًا، فإننا نرى أن كل موهبة كنسية هي أساسًا طريقة خاصة وتجسدًا خاصًا لنقل دعوة المسيح إلى حرية الإنسان، حتى يتمكن من تصله هذ الدعوة أن ينهض من جديد، مثل مريم من بيت عنيا، التي نهضت من آلامها الصامتة لبلوغ حضور القائم من الموت الذي يملأ حياتنا بالحياة.

فكل موهبة كنسية هي طريقة مناسبة بشكل خاص للذهاب وإخبار الجميع، مثل مرتا لمريم، أن المعلم حاضر ويدعونا إليه لتلبية رغبتنا في الحياة الأبدية. وكل موهبة من الروح القدس، لمن انخرط فيها، تحمل سحر هذه الدعوة لأنها تتوافق مع كل ما يرغب فيه قلبي حتى دون أن أعرف ذلك. إن الموهبة التي اختارها الله لك هي تلك التي تصلك فيها هذه الدعوة بمزيد من الجمال والواقعية والحقيقة. إنها الموهبة التي يستمر فيها صدى هذه الدعوة فيك، خاصة إذا كنت مهتمًا بالطريقة التي تتضمنها كل موهبة لجعل هذه الدعوة استدعاء دائم لحضور المسيح وبالتالي لإمتلاء القلب؛ في حضور المسيح وبالتالي في القيامة وحياة حياتك.

إن تجديد الموهبة هو دائمًا عودة الاهتمام والحب لخبرة الينبوع هذه. فينبوع نهر عظيم ليس لحظة من الماضي، بل هو أصل ثابت. والعودة إلى هناك لا تعني العودة إلى الوراء مئات أو آلاف الكيلومترات من النهر، ولكن لاستعادة الوعي بأن المياه التي تتدفق الآن في حاضر حياتك وجماعتك، تتغذى دائمًا من الينبوع، حتى في امكانية اختراقتها دائماً بمياه قذرة أو مخلفات، لأننا بشر، وخطاة ، ودائمًا مضطهدون. وقد حدث هذا منذ الجماعة المسيحية الأولى، أي وجود مياه قذرة وأنقاض في جريان الكنيسة. لكن الماء، إذا كان يتدفق، فهو يأتي دائمًا من المنبع، ونحن أيضًا مدعوون "للتدفق" الآن، في امتداد النهر الذي دخلناه، بهذا الوعي. إن الوعي بالأصل، والمنبع، والمحافظة عليه واستئنافه في تدفق النهر، وفي جريانه، يساعد أيضًا على تمييزما لا يأتي من المنبع، أو قبول وجود روافد، شكراً لله، تأتي لتقوية تدفق النهر بدون تعكير المياه. هذه هي الطريقة التي "تتدفق" بها الكنيسة عبر القرون، وكذلك كل عائلة ذات موهبة ولدت فيها، حيث يمكن أن تكون حركة أو رهبنة قديمة مثل رهبنتي.

المهم ألا نفقد الوعي بأن كل موهبة جديدة هي في الأساس رافد يأتي لتقوية تدفق النهر العظيم للكنيسة التي ينبوعها ومصدرها هو جنب المصلوب المطعون بالحربة، ونسمة حياة القائم من بين الأموات في العُلية وفي حلول الروح القدس على التلاميذ. وعندما تدرك وتعترف الكنيسة بأن موهبة هي موهبتها، فإنها تفعل ذلك وهي تعترف بتدفقها في النهر العظيم للكنيسة بنفس مياه الينابيع ونفس «الماء الحي» لأصل الكنيسة نفسها. لهذا السبب، من المهم أن تسمح كل موهبة دائمًا للكنيسة بالتحقق منها في إخلاصها وأمانتها لأصل الموهبة والكنيسة ذاتها؛

الأصل الذي هو دائمًا وفقط المسيح القائم من بين الأموات وحياة حياة العالم.

إتباع يوحنا

لهذا نحتاج دائمًا إلى موهبة القديس بطرس، فنحن بحاجة إليه ليثبتنا في الإيمان والإخلاص للأصل، لأن الأصل هو القائم من بين الأموات، وعلى الرغم من كل ترددات، وكل مآسيه الانسانية، فإن بطرس منذ البداية الكنيسة هو الشاهد المميز للقيامة، وأن المسيح هو حياة الإنسان وقيامته وحياته، والشاهد على أن القائم من بين الأموات حاضر ويمكننا أن نلتقي به ونتبعه. إنه يوجد كصرخة يتردد صداها في الكنيسة الأولى وفي الكنيسة منذ نشأتها: «إِنَّ الرَّبَّ قامَ حَقاً وتَراءَى لِسِمْعان!»،[75] وتكررها الشعائر الطقسية. وظهر يسوع للنساء أولاً، ثم ظهر لتلميذي عمواس، وظهر لجميع الرسل، إلى آخره، لكن بدا الأمر كأنه هو الضامن النهائي للقيامة هو بطرس فوق الجميع. ويبدو الأمر كما لو أن كل ظهورات القائم من بين الأموات قد تم ضمانها والتحقق منها من خلال ظهوره لبطرس. وكل الذين حدث لهم ظهور القائم من بين الأموات ذهبوا وهرعوا لإخباره (فمريم المجدلية والنساء، وتلميذي عمواس هرعوا جميعًا لإخبار بطرس). واليوم لا يزال الأمر كذلك. فكل تجليات وأعمال المسيح والروح التي ينفخها القائم من بين الأموات على التلاميذ وعلى كل المواهب (لأن المواهب هي حياة القائم من بين الأموات في حياة الكنيسة وفي حياة العالم)، وكل شيء مؤكد إذا أكده بطرس من خلال اختباره للمسيح الحاضر والحي.

إن المشهد العظيم لبطرس وهو يقول نعم، في إنجيل يوحنا ٢١: ١٥-١٩، هو في الأساس تنصيب بطرس في موهبته الرعوية، المتجذرة في الاعتراف الثلاثي والمتواضع بحب المسيح، متبوعًا برسالة أن تصبح راعيًا عالميًا: «إِرْعَ حُمْلاني» - «إِرْعَ خِرافي».[76] لكن كل هذا يحدث بين المسيح القائم من بين الأموات وبطرس، إنه عمل القائم من بين الأموات، وهو باعتباره القائم من بين الأموات يطلب يسوع من بطرس أن يتبعه: «أَمَّا أَنتَ فَاتبَعْني».[77] وقبل القيامة، أعلن يسوع أولوية بطرس، ولكن بعد القيامة كرّس يسوع بطرس للقيام برسالته، أي جعله ما دعاه إلي، وجعله لنا، كما عرّف البابا القديسة كاترين من سيينا، «المسيح الحلو على الأرض».[78] حضور القائم من بين الأموات على الأرض وضمانة حضور القائم من بين الأموات على الأرض.

إن يوحنا، الذي ربما يكون أكثر الرسل ''موهبةً''، والأكثر حدة والأكثر صوفية، و الأكثر نبوة، والأكثر حماسة في حبه وصداقته للمسيح، بدون أن يستمد من كل هذا سببًا للشعور بالتفوق، فقد فهم أنه في اختيار المعلم لأولوية بطرس كان هناك طريق آمن

---

[75] لو ٢٤: ٣٤.

[76] يو ٢١: ١٥-١٧

[77] يو ٢١: ٢٢.

[78] القديسة كاترين من سيينا، من رسالتها إلى البابا غريغوريوس الحادي عشر، رقم ١٨٥.

لعيش مواهبه باتباع المسيح. وعندما ذهب بالفعل إلى القبر في صباح عيد الفصح، على الرغم من أنه جرى أسرع من بطرس، إلا أنه توقف وانتظر. لماذا؟ لأنه يريد أن يدخل القبر متبعاً بطرس، ويريد أن يؤمن من خلال الاتباع، كما تعلم باتباع يسوع نفسه. وفي نهاية إنجيله نرى أنه بينما يذهب يسوع مع بطرس الذي طلب منه أن يتبعه، يتبعهم يوحنا. أي أنه يتبع بطرس الذي يتبع يسوع. إنه يتبع اتباع بطرس.

«فالتفَتَ بُطرُس، فرأَى التِّلميذَ الَّذي أَحَبَّهُ يسوعُ يَتبَعُهما، ذاكَ الَّذي مالَ على صَدرِ يسوعَ في أَثناءِ العشاء وقالَ له: ''يا ربّ، مَنِ الَّذي يُسلِمُكَ؟''. فلَمَّا رَآهُ بُطرس قالَ لِيسوع: ''يا ربّ، وهذا ما شأنُه؟''. قالَ لَه يسوع: ''لو شِئتُ أَن يَبْقى إِلى أَن آتي، فما لَكَ وذلك؟ أَمَّا أَنتَ فَاتبَعْني''».[79]

وبدا الأمر كما لو أن يسوع كان يقول: «لا تقلق بشأن ما سيصير عليه، وما ستصير عليه موهبته. سأتولى أن إبقاء موهبته حاضرة دائمًا في الكنيسة حتى المجيء الثاني! إذ يكفي أن ترى أنه يتبعك من يتبعني. ويكفي هذا حتى تكون موهبته، والكنيسة كلها معه، خصبة، وتأتي بثمار لمجدي ولخلاص العالم».

لكن الشيء المهم بالنسبة لكل منا هو احتمال أن التعلق ببطرس جعل يوحنا يؤمن، وأن يكون راسخاً في الإيمان بالمسيح القائم من بين الأموات، وأن يجيب مثل مرتا على سؤال يسوع، «هل تؤمنين بهذا؟» ليس كثيرًا بكلمات الايمان ولكن بموقف الأنا الراسخ في تمسكها بالرب. فبعد دخول يوحنا القبر وراء بطرس، «رأى وآمن».[80] فقد اختبر نعمة الإيمان، وخبرة الاستغراق في حدث القيامة، وحضور القائم من بين الأموات، وفهم أن هذه النعمة مرتبطة باتباع بطرس. لذلك، من الآن فصاعدًا، في كل ظهورات القائم من بين الأموات، مثل تلك التي حدثت في بحيرة طبريا، وفي الرسالة الموصوفة في سفر أعمال الرسل، سنرى دائمًا يوحنا يتبع بطرس، ويختبر القائم من بين الأموات معه. وكيف أن المسيح هو حياة الحياة. والمعجزات والبشارة، يقوم بكل شيء وهو متعلق ببطرس. وهذا بدوره سيسمح ليوحنا، بموهبته، بتخصيب خدمة ورسالة بطرس، ومساعدته على التعرف على القائم من بين الأموات، كما يقول له: «إنه الرب!»[81] بعد الصيد المعجزة للسمك. وهنا يطيع بطرس موهبة يوحنا، لأنها تساعده على التعرف على القائم من بين الأموات حاضراً والذي اتجه إليه بطرس أولاً بإلقاء نفسه في الماء حتى يتمكن جميع الآخرين، مرة أخرى ودائماً، من اتباعه نحو يسوع.

أقول هذا لأن التماثل مع الإنجيل يساعدنا على تحديد مكانة حياتنا، وما يحدث لنا، والظروف التي نعيشها، وكل شيء، داخل حدث المسيح القائم من بين الأموات. وهو ليس تمرينًا على التخيل، أو حلم يقظة، لأنه في الكنيسة، وفي الأسرار، وفي الإنجيل، يظل المسيح القائم من بين الأموات حدثًا حاضرًا، وبالتالي يمكن حقًا اللقاء به، حيث يمكننا

[79] يو ٢١: ٢٠-٢٢.

[80] يو ٢٠: ٨.

[81] يو ٢١: ٧.

حقًا استيعابه، والتماثل معه، ومن ثم إيجاد الوضع الصحيح للحياة. الوضع الصحيح الذي، على وجه التحديد، لأنه يعرّفنا على حدث المسيح الفصحي، وهو موقف سعيد، ومؤكد، مثمر، ومليئة بالسلام والتعاطف مع البشرية جمعاء المتلهفة للإعلان عن حضور القائم من بين الأموات هنا ويدعو الجميع إلى الخلاص بالاتحاد به، حياة الحياة ورحمة الآب.

الذي ينتصر على هلاك الغرق

تروي المشاهد الأخيرة من أعمال الرسل، التي كتبها القديس لوقا بشكل مثير للإعجاب، رحلة القديس بولس إلى روما ووصوله إلى المدينة الخالدة، حيث سيقضي القديس بولس عامين رهن الإقامة الجبرية، في انتظار عرض قضيته على المحكمة الإمبراطورية. ويتلخص المشهد الأخير عنه الذي قدمه سفر أعمال الرسل في آيتين: «ومَكَثَ سنَتَينِ كامِلَتَينِ في مَنزِلٍ خاصٍّ استأجَرَه، يَستَقبِلُ جَميعَ الَّذينَ كانوا يأتونَه. ويُعلِنُ مَلَكوت الله ويُعَلِّمُ بِكُلِّ جُرأَةٍ ما يَختَصُّ بِالرَّبِّ يسوعَ المَسيح، لا يَمنَعُه أَحَد.».[82]

ورغم تقييد حركته، وهو ينتظر المحاكمة، وهو مُضطهداً من قبل اليهود وتحت رحمة بطء البيروقراطية الرومانية – التي لم تتحسن كثيرًا خلال ألفي عام! – كان بولس انساناً حراً، وله الحرية في الترحيب بالجميع والشهادة لحدث المسيح الذي طغى على وجوده. وكان بولس مُتحرر من الخوف. ورغم عدم قدرته على التحرك، لكن ذلك لم يُحِدَ من رغبته في إيصال معنى الحياة التي التقى بها، لأنه إحساس بالحياة يعطي أيضًا معنى للمعاناة وللموت. فكل حرية بولس كانت في قلبه، لأنها تتكون من إيمان ورجاء ومحبة تكفي كلمة «نعم» من قلب فقير لامتلاكها، والتي لا تدعي امتلاك أي شيء دون قبوله من الله. .. كان بولس حراً لأنه لم يحتاج إلى أي شيء آخر سوى المسيح، والمسيح كان معه، ويعيش فيه. وللعودة إلى كلام رئيس أساقفة ميلانو، مونسينيور مونتيني، لقد قَبِلَ الفصح في ذاته باعتباره «إعلان الاحتياج إلى المسيح، الذي هو حياتنا».

أفكر في شهادة العديد من الرجال والنساء الذين، بإيمانهم وتمسكهم بالمسيح، تمكنوا، إن جاز التعبير، من الانتصار على هلاك الغرق من داخله، ومن داخل الأمواج التي دمرت كل شيء، بموقف قلوبهم، وبتماسك ذواتهم المتأسسة بكاملها على المسيح.

في هذه المشاهد، يجعلنا القديس بولس نفكر في القديسين العظماء الذين نلتقي بهم، أفكر في الكاردينال فان توان في سنوات سجنه، أو تاكاشي ناجاي، هذا الطبيب الياباني الذي آمل أن يخرج قريبًا (بالإضافة إلى أفكار من نيوكودو، والتي هي تأملاته الجميلة التي كتبها من كوخه بعد تدمير هيروشيما بالقنبلة الذرية) ''ما لا يموت أبدًا''، سيرته الذاتية حتى انفجار القنبلة، لأنك هناك ترى شهادة انسان حياته هي المسيح، والمسيح فقط. لذلك، حتى عندما فقد كل شيء، فقد تم تدمير كل شيء، ها هو، مثل نبتة صغيرة تتفتح من جديد، بإيمانه بالمسيح، يبدأ حياة جديدة ليست لذاته فقط، بل للجميع.

[82] أع ٢٨: ٣٠-٣١.

لكن مشهد استقرار الرسول بولس في منزله في روما سبقه، على الفور تقريبًا، خبرة مأساوية، ورحلة مروعة غرق فيها بولس في البحر الأبيض المتوسط، أثناء سفره من قيصرية إلى روما. ولوقا، الذي كان معه، يروي كل شيء بصيغة الجمع بضمير المتكلم، ويعطينا تغطية كاملة للأحداث جديرة بأكثر المراسلين دقة، وربما بأفضل أدباء المغامرات.

لكن وصف غرق السفينة هذا لم يكن مجرد صفحة راقية من الأدب وأيضًا توثيقاً لفن الملاحة في العصر اليوناني الروماني. إنها صفحة من الكتاب المقدس تعلن لنا عن نظرة الإيمان في التاريخ ومآسيه، حتى نتمكن من تفسير وعيش ما نعيشه اليوم بشكل أفضل، في حياتنا وفي كل مجال، ونتلقى أنوارًا ترشدنا إلى عيش كل الظروف كفرصة للنمو فيما هو جدير حقًا بحياة الانسان.

وبولس، على متن السفينة التي انجرفت أولاً ثم غرقت بالقرب من جزيرة مالطا، بالرغم من كونه سجينًا، يسيطر على الوضع تماماً ويصبح مثل مدير خلاص الجميع. أقرأ لكم هذه الصفحة التي ستريح جهدكم للانتباه في الاستماع إليّ، لأنها رواية لمغامرات، لكن فوق كل شيء لأنها غنية جدًا وتتحدث إلينا في الوقت الحاضر.

«وكانَتِ العاصِفَةُ في اليَومِ الثَّاني تَهُزُّنا هَزًّا شَديدًا، فجَعَلوا يُلْقونَ الحُمولَة. وفي اليَومِ الثَّالِث أَخَذوا بِأَيديهِم صَوارِيَ السَّفينَة فأَلقَوها في البَحر. وما ظَهَرَتِ الشَّمسُ ولا النُّجومُ مِن عِدَّةِ أَيَّام، والعاصِفَةُ لم تَزَلْ على شِدَّتِها. فكانَ يَذهَبُ كُلُّ أَمَلٍ في نجاتِنا. وكانوا قد أَمسَكوا عنِ الطَّعامِ مُدَّةً طويلة، فوَقَفَ بولُسُ بَينَهم وقالَ لَهم: ''أَيُّها الرِّجال، كانَ يَجِبُ أَن تَسمَعوا لي فلا تُغادِروا كَريت، فتَأمَنوا مِن هذا الضَّرَرِ وهذهِ الخَسارة. على أَنِّي أَدْعوكُمُ الآنَ إلى الاطمِئْنان، فلَن يَفقِدَ أَحَدٌ مِنكُم حَياتَه، إلاَّ أَنَّ السَّفينَةَ وَحدَها تُفقَد. فقَد حَضَرَني في هذه اللَّيلَةِ مَلاكٌ مِن عِندِ اللهِ الَّذي أَنا له وإِيَّاه أَعبُد. وقالَ لي: لا تَخَفْ يا بولُس، يَجِبُ علَيكَ أَن تَمثُلَ أَمامَ قَيصَر، وقَد وَهَبَ اللهُ لَكَ جَميعَ المُسافِرينَ معَكَ. فَاطمَئِنُّوا، أَيُّها الرِّجال، إِنِّي واثِقٌ بِالله، فستَجْري الأُمورُ كَما قيلَ لي. ولكِن يَجِبُ أَن تَجنَحَ بِنا السَّفينةُ إلى إِحْدى الجُزُر''. وكُنَّا في اللَّيلَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ نُساقُ في البَحْرِ الأَدْرِياتي، فأَحسَّ البحَّارَةُ عِندَ مُنتَصَفِ اللَّيلِ أَنَّ أَرضًا تَقتَرِبُ مِنهُم. فسَبَروا الغَوْرَ بِالمِسبار فإِذا هو عِشْرونَ باعاً، ثُمَّ ساروا قَليلاً وسَبروهُ ثانِيَةً فإِذا هو خَمسَةَ عَشَرَ باعًا. فخافوا أَن تَجنَحَ بِنا السَّفينةُ إلى أَماكِنَ صَخرِيَّة، فأَلقَوا أَربَعَ مَراسٍ في مُؤخَّرِها وباتوا يَرجونَ طُلوعَ الصَّباح. على أَنَّ البَحَّارَةَ حاوَلوا الهَرَبَ مِنَ السَّفينَة، فأَخَذوا يُدَلُّونَ الزَّورَقَ في الماء زاعِمينَ أَنَّهم يُريدونَ إِلقاءَ المَراسي في مُقَدَّمِ السَّفينة. فقالَ بولُسُ لِقائِدِ المِائَةِ وجُنودِه: ''إِذا لم يَبقَ هؤلاءِ في السَّفينَة، فأَنتُم لا تَستَطيعونَ النَّجاة''. فقَطَعَ الجُنودُ حِبالَ الزَّورَق وتَرَكوهُ يَسقُطُ في الماء. فجَعَلَ بولُس، إلى أَن يَطلَعَ الصَّباح، يَحُثُّهم جَميعًا على تَناوُلِ شَيءٍ مِنَ الطَّعامِ قال: ''هُوذا اليَومُ الرابعَ عَشَرَ الَّذي تَقضونَهَ وأَنتُم صائِمونَ لم تَذوقوا شَيئًا. فأَحُثُّكم على تَناوُلِ الطَّعام، لأَنَّ فيه خَلاصَكم، فلا يَفقِدُ أَحَدٌ مِنكُم شَعرَةً مِن رأسِه''. قالَ هذا ثُمَّ أَخَذَ رَغيفًا وشَكَرَ اللهَ بمَرأًى مِنهُم أَجمَعين، ثُمَّ كَسَرَه وجَعَلَ يأكُل، فاطمأَنُّوا

كُلُّهم وتَناوَلوا الطَّعامَ هم أَيضاً. وكانَ عَدَدُنا في السَّفينةِ مِائَتينِ وسِتًّا وَسَبعين نَفْسًا».[83]
يجب أن نتأمل في هذا المشهد بالتفكير في غرقانا، وفي غرق عصرنا، من الوباء إلى الحرب في أوكرانيا مع كل الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وأيضًا الدينية التي تثيرها في العالم. وعلينا أن نتأمل في هذا المشهد بالتفكير في الغرق الشخصي أو العائلي أو المجتمعي الذي يشملنا أو الذي يشمل أحبائنا وأصدقائنا.
إن السفينة التي سافر بها بولس الرسول هي رمز للعالم والمجتمع، حيث نجد أنفسنا في سفر نحو المصير المتوقع لكل واحد منا. وهنا يدرك بولس، وقد أُوحي له، أن كل رفاقه المسافرين ليسوا غير مبالين بمصيره الشخصي، وبمسيرة حياته التي تتبع المسيح. فقد كُشِفَ له أن الله سيخلص جميع الذين معه، وأنه لن يخلصه بدون هذا الشعب الجاهل تمامًا وغير الواعي بالمسيح. كما يدرك بولس أنه من أجل خلاص الجميع تحديدًا، جعله الرب يتبعه في هذه السفينة الغارقة. ومن ثم يفهم بولس أنه يجب عليه إيصال يقينه إلى الجميع، وأن ينقل للجميع أنه على يقين لأنه مرتبط ومتمسك بالمسيح، وأنه حساس للحاجة إلى الحياة، ولجوع رفاقه لأن جوعه يتم إشباعه بالمسيح الحاضر، لأن قلبه مليء بخبز الحياة الوحيد الذي نحتاجه حقًا.
لا يقوم بولس بالقاء وعظة عظيمة لهداية كل هؤلاء الغرقى الذين يتشبسون بالحياة وهم يأس. إذ يتعلق بولس بحضور من هو كل قِوامَه. وهو هادئ وسعيد، بلا ذرة من الخوف، لأن يسوع يكفيه، القائم من بين الأموات، والذي بذل ذاته إلى درجة الموت من أجله ومن أجل الجميع، جاعلاً من نفسه جسداً ودمًا ليُأكل ويُشرب، في وسط السفينة الغارقة، ليغذي حياتنا بحياته.
لكن بعيش هذا، يدرك بولس، بدهشة لا يمكن التعود عليها، فإشباع المسيح له هو اشباع الجميع. وبخلاص المسيح له خلص جميع من معه. وأن المسيح، هو حياة حياته – وبالتحديد لأنه هو حياة حياته – وهو حياة الجميع.
ولم يعد هناك انسان واحد على الأرض ليس أخًا له إلى الأبد!
دعونا نستمع إلى ترنيمة «يا ملكة السماء» بأداء الكورال.

[83] أع ٢٧: ١٨-٣٧.

صباح يوم الأحد ١ مايو ٢٠٢٢

عند الدخول والخروج:

موسيقى نيكولاي ريمسكي كورساكوف، عيد الفصح الروسي العظيم، المقطوعة رقم ٣٦

إرنست أنسيرميه – بعزف الأوركسترا السويسرية

«الروح اللطيف» مقطوعة رقم ٢٩ (ديكا) العالمية

صلاة التبشير الملائكي

تسابيح الصباح

الإجتمـــــاع العـــــام

دافيدي بروسبيري. لقد وصلنا إلى النهاية، إلى الفصل الأخير من هذه الرياضة الروحية التي – يجب أن أقول – كانت حقًا شيئًا نمتن له جميعاً، في اللحظة التي نعيش فيها وللأسئلة التي كانت لدينا. في الواقع، الامتنان هو الكلمة التي تهيمن على المساهمات التي وصلتنا عبر البريد الإلكتروني الليلة الماضية: الامتنان لشهادة الأب ماورو، والامتنان لهذه الرياضة الروحية، والامتنان لكوننا معًا مرة أخرى، لأن الحركة لا تزال قائمة. وهذا أمر ليس مفروغًا منه، فكل هذا موجود لأن الله يريده أن يستمر في الوجود؛ فإذا لم يرغب في ذلك، فلن يتبقى شيء من كل هذا. لقد وصلنا إلى هنا (كما قلنا في الأمسية الأولى) مع العديد من الأسئلة، وبكثير من الانشغالات والقلق – الشخصية والجماعية – حول حياة الحركة، وحول الوضع الذي نعيشه، وحول العالم، والحرب، والألم والمعاناة، لكن ما حدث، وما شاركنا فيه ملأ كل مساحة قلبنا، بسحق باقي الأشياء في ركن ضيق، بل في الواقع، ألقى ضوءًا جديدًا غير متوقع على كل شيء آخر – على الأقل فيما يتعلق بي –، بإدخال السلام والهدوء إلى قلبي.

أود في هذا الصدد أن أستحضر مرة أخرى شيئًا قاله لنا الأب ماورو صباح أمس: «أنا هو القيامة والحياة؛ فمن آمن بي وإن مات فسيحيا. ومن يعيش ويؤمن بي لن يموت إلى الأبد». هذا، هذا فقط ما نحتاجه، وما يحتاجه الجميع. هذا هو الشيء الوحيد الضروري. نحن بحاجة إلى حياة تنهض بنا من الموت، ومن كل موت، ومن كل وجه يكتنفه الموت والشر في الحياة الشخصية، وفي الأسرة وفي الجماعة وفي العالم بأسره. وكل ما تبقى هو آلاف الأشياء التي تقلقنا وتجعلنا متوترين دون أن تكون ضرورية، لأنها لا تلبي مطلقاً الحاجة الحقيقية للقلب، ولكل قلب».[84]

إذن فلنسأل أنفسنا، كما سألت نفسي: لماذا حدث ذلك؟ لماذا أمكن حدوثه؟ مما تتكون هذه الشهادة التي قُدمت لنا؟

[84] أنظر هنا، الصفحات ٣٩-٤٠.

هناك تصريح أدلى به بيجي يجسد الفكرة جيدًا: «عندما لا يفعل الطالب شيئًا سوى تكرار ليس نفس الرنين، ولكن صدى بائس لفكر المعلم؛ وعندما يكون التلميذ مجرد تلميذ، حتى لو كان أعظم التلاميذ، فلن يولد شيئًا أبدًا. ولن يبدأ التلميذ في الابداع إلا عندما يقدم هو نفسه صدى جديدًا (أي إلى الحد الذي لا يكون فيه تلميذًا). لا يعني أنه لا ينبغي أن يكون لأحد معلم، ولكن يجب أن ينتمي الانسان إلى الآخر من خلال طرق البنوة الطبيعية، وليس من خلال طرق التلمذة المدرسية».[85] في عام ١٩٨٩، علق الأب جوساني على هذه الفقرة من بيجي بهذه الكلمات: «هذه هي الحاجة لصحبتنا، حتى تكون ينبوعاً للرسالة في جميع أنحاء العالم: ليس تلمذة، وليس تكراراً، بل بنوة. إدخال صدى ورنين جديد خاص بالابن الذي له طبيعة الأب. ولها نفس الطبيعة لكنها حقيقة جديدة. لدرجة أن الابن يمكن أن يعمل بشكل أفضل من الأب، ويمكن للأب أن يبدو سعيدًا بالابن الذي صار أكبر منه. لكن ما يفعله الابن هو أعظم حقاً وفقط بقدر ما يدرك أكثر ما يشعر به الأب. لذلك، بالنسبة للعضوية الحية لصحبتنا، لا يوجد شيء أكثر تناقضًا، فمن ناحية، تأكيد الرأي والمقياس وطريقة الشعور الشخصي ومن ناحية أخرى، التكرار. إن البنوة هي التي تلد: دم الواحد – الأب – يمر في قلب الآخر – الابن – ويُولِد قدرة مختلفة على الإدراك. وهكذا يتضاعف سر حضوره العظيم ويتسع حتى يراه الجميع ويمجدون الله».[86]

هنا، أعتقد أنه في هذه الأيام استطعنا العيش والمشاركة في هذه الخبرة بالذات: ماذا يعني أن نكون أبناء. ولهذا نحن نشكرك.

لقد جاءنا عدد هائل من الأسئلة. واخترنا منها الأكثر تكراراً.

«هناك شيء واحد فقط يستحق العناء». ومع ذلك، يبقى هذا الشيء الوحيد في الخلفية، منسيًا، وبالتالي في النهاية نحبه ونعرفه قليلاً وأحياناً نشك فيه. كيف يمكننا السماح للحضور بأن يصبح مألوفًا وحاضرًا وحقيقياً ومغذيًا للحياة بطريقة ملموسة؟»

«إذا كان المسيح كافيًا، فما هو كل ما بقي من الأشياء؟ الجوع، والرغبة، والعمل، والسياسة، الولع والمشاعر، والحرب: وما هي كل هذه الأشياء؟».

الأب ماورو جوزيبي ليبوري. كيف يصبح الحضور مألوفاً؟ خطر على بالِي عُرس قانا الجليل الذي دعوا إليه يسوع أيضًا. وهناك دعوة للدخول في حياتنا العائلية، وفي حميمية حياتنا، ومجيء يسوع – بالطبع – هو أيضًا ثمرة حرية من يدعونه، لكنه شيء مجاني. إنهم لم يدركوا من كانوا يدعونه عندما قاموا بدعوة يسوع لحضور العُرس، ولكن إن لم يأتِ هو لكان الخمر قد نفد، وظل الماء ماءً، والحياة الأسرية لهذين الزوجين، وحياتنا العائلية، وحياتنا اليومية ظلت على ما هي عليه: واقع ينضب. وهنا، من المهم حقًا أن ندرك أن المسيح يسمح لنفسه بدعوته بسهولة بالغة (من الأسهل دعوته أكثر

[85] راجع شارل بيجي، كراسات، الجزء الثامن والحادي عشر [٣ / ٢ / ١٩٠٧].

[86] الأب لويجي جوساني، الحدث المسيحي، بور، ميلانو ٢٠٠٣، ص ٥٠.

من دعوة رئيس الدير العام!) ، لأنه بالفعل يقف وراء الباب. نحن ندعوه، لكنه بالفعل يقرع باب حياتنا، إنه هنا بالفعل. تكفي كلمة «نعم» من الحرية التي تقول له: «أدخل!» («أدخل، تقدم!»،[87] كما قالت الترنيمة السابقة)، لكنها كلمة «أدخل» الموجهة للمسيح بالتحديد، «تقدم، أدخل!". فكلمة «نعم» هذه كافية تماماً، لأنه إذا أصبح حضوره مألوفًا لنا بطريقة أعقد من قولنا «أدخل!»، فربما نخون الطبيعة المجانية لهذا الحضور؛ لكنه مجانية مطلقة.

«إذا كان المسيح كافيًا، فما هو باقي كل الأشياء الأخرى؟ الجوع والرغبة والعمل والسياسة والعاطفة والمشاعر والحرب: ما كل هذه الأشياء؟» كل هذا يتوق إلى المسيح، إن كل هذا هو الوجه الملموس لصرخة، وللاحتياج إليه والعطش إليه والفراغ الذي ينشأ في الحياة إن لم يكن موجوداً. لذلك، من خلال معانقة المسيح، أنا لا أنكر كل هذه الأشياء، ولا أقول إن كل هذا لا شيء، لكني أؤكد أكثر أن كل هذا يريد أن يكون، ويريد حقًا أن يكون مليئًا بالواقع. فإذا لم أعانق المسيح، وإذا لم أسمح للمسيح بدخول بيتي، سيظل بيتي فارغًا كبيت، إذ لم يعد هناك معنى لأي شيء: فلا المائدة، ولا الكرسي، ولا شيء. إن الادراك والاعتراف بأن كل شيء يتوق إليه يجعل كل لحظة من حياتنا اليومية مكانًا للتحقق من وجوده، ومن أنه حاضر.

بروسبيري. «قلت لنا أنه كان هناك وحدة بين التلاميذ لأن المسيح هو كل شيء لقلب الإنسان. أحيانًا في الجماعة تتعرض الرغبة في الوحدة لخطر التنظير كشيء يجب تحقيقه وبنائه من خلال القوة والمجهود الشخصي، مع إهمال حدوث المسيح وبالتالي عيش اللقاء مع الآخر وخبرته بفتور».

الأب ليبوري. علينا حقًا القبول لحقيقة أن وحدتنا هي ثمرة عمل شخص ما، وحضور. إنه ليس شيئًا – مثل الجسر – نبنيه بيننا، إنه ليس معاهدة بيننا، ولكنه حقًا تم مولده بواسطة شخص ما. وهذا كله في خبرة الكنيسة وأيضًا في خبرة الحركة المسكونية: إدراكًا دقيقًا أن وحدتنا لا نبنيها ، ولكن يحدث إذا أدركنا أنه بيننا ، وأنه موجود هنا.

وهذا ينطبق على كل شيء: فليس علينا أن نبني حضور المسيح، بل يجب الاعتراف به. عندما قالت الأم تيريزا أننا يجب أن نتعرف على المسيح في الفقراء، لم تقل ذلك بمعنى أنه يجب على كل انسان أن يبذل جهدًا ليقول لنفسه: «هذا المتسول أو الأبرص هو المسيح»، لكن عليه أن يدرك أن المسيح في الفقراء ويتجلى في الفقراء ويلتقي به في الفقراء وفي كل أخ وأخت. وهذا يخلق وحدة مع الجميع ومع كل شيء الذي هو غير محدود، لأن ما أتعرف عليه في الآخر هو الذي أحتاجه حقًا. ويقول القديس بنديكتوس: «عندما يأتي أحد الحجاج، أي انسان فقير، عليك أن تخرج للقائه وتعبد المسيح الذي فيه»،[88] أي التعرف على حضوره في الآخر ، لتعرف أنه يأتي، وأنه هناك فهو حقيقة وجودية. وهذا ما

[87] ف. فيراري ("زوت")، «أدخل، أدخل».

[88] راجع قانون الرهبنة البندكتية ٥٣: ١-٧.

يصنع كل شيء، وكل جوهر المحبة والشركة، أي الاعتراف بأن حضور المسيح هو حضور وجودي وأنني لست مدعوًا لإثارة هذا الحضور كروح، ولكن لأدركه حاضرًا، وأُظهر هذا الحضور من خلال اعترافي به.

بروسبيري. «لقد قُمتَ بتعريف الصمت على أنه الطريق الرئيسي الذي نواجه به اضطراب حياتنا. ماذا يعني لك أن تصمت كل يوم؟ وكيف يمكننا نحن العلمانيين المنغمسين في العالم حتى أعناقنا أن ندرب أنفسنا على هذه الممارسة، حتى نُصغي نحن أيضاً إلى المعلم الذي يتحدث إلينا؟».

الأب ليبوري. الصمت يعني قبل كل شيء الاعتراف بأن الصمت ليس من صنعنا، فالصمت يخلقه المسيح الذي يُخاطبنا. بما أن هناك كلمة واحدة فقط تستحق الاستماع إليها (كما يقول كتاب الإقتداء المسيح: «في كلمة واحدة يوجد كل شيء وكل شيء يعبر عن كلمة واحدة ...»[89])، فأنا صامت. وإذا كنت أعلم أن هناك شيئًا واحدًا يجب أن أستمع إليه، فأنا أميل إلى الاستماع إليه فقط، وهذا هو الصمت.
أعتقد أن كل دعوة، وكل شكل من أشكال الحياة يجب أن تجد وتعيش شكلها من الصمت، وشكل إصغاءها إلى المسيح، وانضباطها – أيضاً – في الإصغاء إلى المسيح. فليسأل كل واحد نفسه: «ما الذي يساعدني على الاستماع إلى المسيح دائمًا، ما هو ذلك الفعل، وتلك اللحظة وذلك الانضباط الذي أتعلم من خلاله البقاء دائمًا مفتوحًا أو التخلي باستمرار عن تشتتي، وعن ضجيجي وثرثرتي، وعن كل شيء؟». والاستماع إليه الذي هو هنا ويكلمني. ويقول يسوع للمرأة السامرية: «أَنا هو، أَنا الَّذي يُكَلِّمُكِ».[90] تحدث إليكم المونسنيور فيليبو سانتورو عن عشر دقائق من مدرسة الجماعة في اليوم. ربما هذه هي بالضبط الـ «نَعَم» للكلمة والصمت المطلوب من أولئك الذين يعيشون في العالم من العلمانيين. ومطلوب من العلمانيين المكرسين Memores الصمت لمدة ساعة في اليوم، وربما اليوم كله من الرهبان، لكنه نفس الشيء، إنه نفس الشيء بالضبط. فالهدف ليس الصمت، بل العيش من خلال الإصغاء إلى المسيح. الآن لم أعد أعيش بشكل دائم تقريبًا في دير، بكل الصمت المطلوب، وكل انضباط الصمت الذي يقدمه الدير، لكنني أدرك أن الانضباط الذي كنت أقوم به كمبتدئ وكراهب شاب، ثم بعد ذلك لمدة ستة وعشرين عامًا في ديري، وهو يرافقني في داخلي، لذلك أستمع إلى المسيح حتى في وسط الضوضاء، وفي سفرياتي، وفي المطارات، لأنه احتياج شخصي. من يستمع إلى كلمة واحدة من المسيح تأتي منه حقًا، لا يمكنه العيش إلا في حنين واشتياق لسماعه يتكلم مرة أخرى. «لا أستطيع العيش بدون أن أسمعه يتكلم».[91] وهذا يخلق الصمت ونحن

[89] («من كلمة واحدة كل شيء، وكلمة واحدة تصرخ بكل شيء. وهذه الكلمة هي المبدأ الذي يتحدث فينا.» الاقتداء بالمسيح، الكتاب الأول، ٣، ٨).

[90] يو ٤: ٢٦.

[91] أنظر ج. أ. مولر، الوحدة في الكنيسة، أي مبدأ الكاثوليكية في روح آباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى، المدينة الجديدة للنشر، روما ١٩٦٩، ص ٧١.

بحاجة إليه! لسنا بحاجة للصمت، بل نحن بحاجة إلى المسيح ليكلمنا!

بروسبيري. «قامت مرتا بمسيرة وعي بالعمل على نفسها مما أدى ذلك نمو إنسانيتها في اليقين بالمسيح باعتباره المُلبي لاحتياجها. ما هي خطوات هذه المسيرة، وما هو هذا العمل؟ إذا حدث إتساع إنساني لأي انسان بمرور الوقت، كيف لي أن أتأكد من أنني أقوم بهذا العمل وأنني لا أزال أتبع ذاتي؟»

«لقد شددت في دروسك على أهمية التحقق الذي تقوم به مرتا ومريم ولعازر فيما يتعلق بلقائهم بيسوع وبكلماته. هل يمكنك شرح شروط هذا التحقق بشكل أفضل؟ مما تتكون؟».

الأب ليبوري. أود أن أقول إنه للقيام بمسيرة مرتا، يكفي أن نسأل أنفسنا: «ماذا أفعل تجاه شعوري بعدم الرضا الذي أختبره؟ ماذا أفعل مع عدم الرضا الذي أشعر به في كل ما أفعله، حتى فيما أفعله وأنا أتوقع الشعور الرضا، والذي قد يستمر، ولكنه دائمًا – دائمًا! – يدل على أنه ليس ... «ليس من أجل هذا، ليس من أجل هذا!» كما قال كليمنتي ريبورا وهو يصرخ.[92] ماذا نفعل مع عدم الرضا اليومي الذي نشعر به في كل شيء وفي كل العلاقات وفي كل ما نقوم به؟ هل نَجُرَ ذلك في شكل شكوى مستمرة تهيمن على حياتنا، أم نجعله سؤالًا، أو مكانًا للصمت أتحقق فيه من أن شخصًا آخر يملأ حياتي، وأنني بحاجة إلى حدوث شيء آخر؟». هنا يصبح عدم الرضا معلمًا إذا جعلنا نتساءل، أي إذا كانت الحياة تمتليء بالأسئلة. أتصور أن مرتا منذ ذلك اليوم فصاعدًا في كل مرة يعود إليها الشعور بعدم الرضا عن ما كانت عليه أو ما كان عليه الآخرون أو عن وضع حياتها، كانت تتوقف فجأة لتقول لنفسها: «لا، لقد رأيت ذلك الآن فالشكوى ليست استخدام جيد لشعوري بعدم الرضا». إن الشكوى لا تعود علىَ بشيء، إنها لا تفعل شيء سوى الاستمرار في الشعور بعدم الرضا، لأننا لسنا مخلوقين من أجل عدم الرضا، بل من أجل السعادة. ثم حدث هذا السؤال مرة أخرى في الحال بالتأكيد، والذي كان سؤالًا عن المسيح: «يا رب، أنت هنا، إدعيني، أي قل لي مرة أخرى هذه الكلمة، وبخني فأنت وحدك الضروري بالنسبة لي!» وبعد ذلك يصبح عدم الرضا مسيرة، أي أن الحد البِنيوي لحياتنا يصبح سُلَماً، ودرجات صعودنا. كما يقول القديس بنديكتوس: إن سُلَمْ التواضع مبني على درجات صعود إنسانيتنا، لذلك يصعد الانسان نحو الله على وجه التحديد على درجات سلم انسانيته التي هي دائمًا غير كافية في حد ذاتها، شكراً الله.

«لقد أكدت في دروسك على أهمية التحقق الذي تقوم به مرتا ومريم ولعازر حول لقاؤهم بيسوع وحول كلماته. هل يمكنك شرح شروط هذا التحقق بشكل أفضل؟»

إن الجماعة تساعدني وتصبح مكانًا للتحقق إذا كررت لي باستمرار عبارة مرتا لمريم: «إن المعلم هنا وهو يدعوك». نحن بحاجة إلى الجماعة بشكل موضوعي، كمكان يوجد فيه دائمًا شخص ما يذكرني بهذا؛ وهناك دائمًا أحد ما – بينما أعيش متذمراً، وبينما أنا

[92] كليمينتي ريبورا، «أكياس من الأرض للعيون»، الأشعار، جارزانتي، ميلانو ١٩٨٨، صفحة ١٤١ وما يليها.

ضائع، وأبدد حياتي - يُذكرني أنه بدلاً من ذلك فإن ما يتوق إليه قلبي هو حاضر بالفعل. والجماعة هي بالتحديد علامة على أن هذا الحضور هو حضور وجودي لأنه شيء آخر غيري، فهو يذكرني بأنني لست أنا من خلق ما هو ضروري بالنسبة لي، إنه المسيح الذي هو ضروري بالنسبة لي، ولكن تم إعطاؤه لي داخل علامة موضوعية، أي بالجسد. وقرر يسوع بهذه الطريقة تحديدًا أن يعطينا العلامة الموضوعية لحضوره الحقيقي. وإذا عشتُ الجماعة والعلاقة مع الآخرين بهذه الطريقة، فإن العلاقة نفسها تصبح تأكيدًا على أن المسيح يملأ القلب.

بروسبيري. ربما يجيب هذا بالفعل على السؤال التالي: «ما معنى أن الشركة هي مشاركة في التحقق؟». ومن بين أمور أخرى - إذا سمحت لنفسي - إن ما قلته سابقًا، أي أن الحد هو خطوة صاعدة نحو الله، كما أخبرنا الأب جوساني بذلك العديد من المرات؛ وهذا يدل على أن تاريخنا يدخل ضمن تاريخ عظيم.

الأب ليبوري. يُدهشني أنه عندما قال يسوع لمرتا: «إن أُختَكِ اختارت النصيب الأفضل»، فهو لم يقل ذلك ليقول لها: «أنظري كيف هي أشطر منكِ»؛ إنه قال ذلك لخلق صحبة مع أختها حول النصيب الأفضل، أي كطريقة للعيش مع أختها، وكعلاقة تُحقِقْ هذه الصحبة بينهما، أي أنه خلق أخوية حقيقية بينهما، جماعة حقيقية، جعل منها أخوية مسيحية، مكانًا اختارت فيه أختي ما هو أكثر مني وأفضل مني وما هو ضروري بالنسبة لي، وهو ما يجعلني أعيش أخوة حقيقية ولا يجعل بعد الآن العلاقة مع أختي مكانًا للمنافسة، ولكن على وجه التحديد لمشاركة المسيح، والمشاركة في التحقق من أنه هو الوحيد الذي يلبي عطش القلب. وحقيقة أن أختي مُتقدمة عني في هذا التحقق هو هبة وعطية لحياتي، أي أنها تجعلني أتقدم إلى الأمام أيضًا. وهذا على وجه التحديد هو الجمال العظيم للشركة المسيحية، كما هو الحال في الجماعة المسيحية الأولى: أن كل شيء مشترك بينهم حقًا. لكن الشيء المهم ليس أن يكون هناك مال مشترك (هذا أيضًا)، ولكن قبل أي شيء أن يكون المسيح هو المُشتَركْ بينهم باعتباره الشخص الأكثر أهمية من المال، لذلك لم يكن هناك مشكلة بالنسبة للمسيحيين الأوائل في تقاسم المال لأن المسيح هو الوحيد المشترك بينهم الذي يحتاجه القلب.

بروسبيري. معذرة، يا أبونا ماورو، إذا طلبت منك مزيدًا من المعلومات حول هذا، لأن هذا السؤال ربما يحتوي أيضًا على طلب المساعدة في فهم كيف ندع أنفسنا في موضع تسائل وشك، كما فعلت مرتا. لأنه - كما قلت الآن - عندما أدركت مرتا أن هذه الكلمة التي قالها لها يسوع تقترح عليها النظر إلى أختها في شيء يمكن أن يجعلها تنمو؛ وهي تقبل هذا الاقتراح - كما قُلتَ بالأمس - ربما بصعوبة وغضب أيضاً في البداية، ولكن بعد ذلك ... أحيانًا نجد صعوبة في السماح لأنفسنا بأن نكون في موضع تسائل وشك، أي أننا متعلقون بالصورة التي لدينا عن كيف يجب أن تكون.

الأب ليبوري. نعم، ربما على وجه التحديد لأن لدينا هذا الميراث من الخطيئة الأصلية، أي الاعتقاد بأن ما هو أعز بالنسبة لنا هو شيء يجب أن أنتزعه «لنفسي»، ويجب أن خاص بي، وإذا لم أمتلكه وحدي فأنا لا أمتلكه حقًا. ولكن مع المسيح يحدث العكس تماماً، أي: كلما امتلكته أكثر مع الآخر، كلما أتقاسمه أكثر، وكلما امتلكته بما هو عليه، وبحقيقته. ولهذا تتحد معاً الوحدة بيننا وبين انتمائنا إلى المسيح وامتلاكه، فهما نفس الشيء. لذلك ربما يفهم المرء أيضًا أنه إذا قدم تضحيات حتى يتمكن الآخر من المضي بإيقاعه الخاص، واحترام مسيرة الآخر، فهو أيضًا يتقدم أكثر. يقول القديس بنديكتوس: ذاخل الجماعة يجب المحافظة على إيقاع المسيرة هذا حتى لا يضعف أولئك الذين هم أقوى في زخمهم، ولكن أيضا أولئك الذين هم أضعف لا تَحبُط عزيمتهم ولا يتخلفون عن الباقين. . فهناك تضحية متبادلة. لماذا؟ كي نعلم أن هناك شيئًا واحدًا يوحدنا، وبالتالي فإن الجهد الذي أقوم به للتعرف، وحتى للتكيف مع إيقاع الآخرين، هو جهد يجب أن أقوم به لإتباع المسيح، وليس لأكون صالحًا أو صبورًا، ولكن بالضبط لأن المسيح بيننا. لا أعرف إذا كانت إجابتي مفهومة وواضحة لكم.

بروسبيري. تماماً! وشكرًا.
«نود أن نفهم بشكل أفضل التصريح بأن القديس يعيش بصدق حتى خطيئته. ففي حياتنا اليومية، غالبًا ما تسحقنا الخطيئة وتُحبِطُنا. ماذا يعني أن نعيشها بصدق؟»

الأب ليبوري. إن حقيقة الخطيئة، وحقيقة كوننا خطاة، هي نظرة رحمة من يسوع. وهذا ما تكشفه لنا حقيقة الخطيئة. فليست الخطيئة ذاتها ما هو حقيقي. فالمشكلة هي أننا أمام الخطيئة نقوم بالابتعاد لقياس الخطيئة وخطورتها وتأثيرها علينا وما إلى ذلك، ولكننا لا نسمح لنظرة المسيح أن تخبرنا بحقيقة الخطيئة، التي ربما تكون أكثر خطورة، إنها حقيقة ربما أكثر إيلاماً من تلك التي أقيسها أنا، فعلى سبيل المثال هناك بعض الخطايا هي أكثر خطورة من تلك التي تسبب لي إزعاجاً أكثر. فعلى العكس من ذلك، إن حقيقة الخطيئة هي بالضبط نظرة المسيح، أي الرحمة. وهذا ما يفهمه القديسون: إنهم خطاة سمحوا لنظرة المسيح أن تكشف لهم حقيقة الخطيئة، وكل خطيئة، حتى أنهم رأوا في أنفسهم أيضا ظِلالاً وبؤساً في أنفسهم أكثر بكثير من غيرهم، لكنهم رأوها بدون أن يفصلوها عن الغفران وبالتالي عن القداسة، لأننا قديسون بالنعمة، لأن الله يفدينا بالكامل. فالقديس هو الانسان الذي تم فدائه تماماً، والذي يسمح لنفسه بأن يُفتدى تماماً، لذلك فهو الانسان المتواضع، والانسان الذي حتى مع خطاياه ليس لديه علاقة يفتخر بها («لقد أخطئت!»، «لقد سقطت!»، «أين شرفي؟ وأين صورتي؟»). لا، الخطيئة هي: «لقد أخطئت وتخليت عن الآب!» والمسيح يقول لنا: «عُد!». وتقول نظرة الرحمة من المسيح: «عُد لأن الآب يحتضنك، وفي حضنه تتحول خطاياك إلى قداسة».

إنها ترنيمة الابتهاج: «أيتها الخطيئة السعيدة، التي تستحق أن يكون لها مثل هذا الفادي العظيم!».[93] إن فداء المسيح هو حدث لا يُصدق لدرجة أن الخطيئة هي السعيدة التي تسمح لي بأن أعيش حُضن رحمة الله، وأن أختبر العناق الذي لا تختبره الملائكة. فالملاك لا يختبر الرحمة. إنه أمر لا يُصدق! من المؤكد أنه يدرك ذلك، لكنه لا يختبر هذا الاحتضان، وهذه خبرة من العالم الآخر! هذه هي الحقيقة العظيمة لخطايانا.

بروسبيري. «لقد قيل أن تجديد الموهبة (الكاريزما) هو عودة إلى الأصل. ماذا يعني ذلك؟ كيف يحدث ذلك؟ فكيف لا يتم اختزالها في تفسيرنا لها؟»
«نحن نطلب فهم أفضل لمسألة الينبوع الذي يستمر في تغذية خبرتنا اليوم، حتى لا يتم اختزالها في عودة حنينية إلى الماضي. ما الذي يضمن الأمانة للينبوع وكيف يمكن أن تصبح مساهمتنا في الكنيسة والعالم ملموسة؟»

الأب ليبوري. أنت تعلمون أن الموهبة تعني هبة مجانية من الله وأن مصدرها وينبوعها هو مجانية الله. إن فهم كل واحد فينا هذا، فإنه يفهم أن الينبوع مضمون، ولن ينفد أبدًا، ولا يمكن أن ينفد. وإذا سحب الله مجانيته، فسيتعين عليه إلغاء وإماتة ذاته. فعطايا الله – كما يقول القديس بولس – هي عطايا بلا ندم، لأن الله لا يستطيع أن يندم عن كونه مجاني، لأن الله هو المجانية. فتأتي الموهبة (الكاريزما) – مثل كل الهبات – من هذا المصدر والينبوع، ومن المهم في اللحظات التي يجب فيها على الموهبة (الكاريزما) استعادة وعيها بذاتها أو ربما تُظهِر جموداً عندما يلزم مرورها عبر ما هو إنساني أو أنها لم تعد شفافة كما ينبغي. (لأنه منذ بدايات الكنيسة كان هناك غياب للشفافية نحو مجانية يوم الخمسين ''يوم حلول الروح القدس على التلاميذ'')، أو أنه لم يتم فهمها، والتي ربما تكون قد خضعت لمعالجة ما، ولنظرة لا تفهم المصدر والينبوع، وفي هذه اللحظات من المهم أن يبدأ كل من يعيش الكاريزما بإدراك أن المصدر والينبوع هو مجانية الله. المشكلة هي عندما نعتقد أن أصل الموهبة هو تفسير، أو ما أفكر بها، أو كما أعيشها، أو كما فهمتها أنا، أوكما عشتها، وهذه ليست الشفافية على مجانية الله التي كانت أوضح في الأصل والتي تظل شهادة حية في المؤسسين: حتى لو ماتوا، تظل شهادتهم التي قدموها على مجانية الموهبة، لا تصبح أقل وضوحاً، أو أقل نضارة. فالمهم هنا ألا نخون هذه الشهادة.
وفوق كل شيء – أعتقد – أننا نخون مجانية الموهبة (الكاريزما) عندما نخشى أن تموت، أو تضيع، أو أن شيئًا ما يكفي لإلغائها أو أن تماسكنا يجب أن يضمن ذلك. لكن، (الشكر لله) يفاجئنا الله بإظهاره لنا دائمًا أن هناك ينبوعاً مجانيًا ربما يجد بعد ذلك طريقة لإظهار ذاته من خلال تدفقات لا يمكن تصورها: حتى أكثر الأشخاص الذين لا يمكن أن نتخيلهم في لحظة معينة يصبحون شهودًا على مجانية الموهبة أكثر بكثير من أولئك الذين ربما كانوا على رأسها. كما هو الحال في الكنيسة:

[93] «أيتها الخطيئة السعيدة، التي تستحق أن يكون لها مثل هذا الفادي العظيم»، ترنيمة الابتهاج أو إعلان الفصح الاحتفالي.

هناك قديسون يعيدون الكنيسة إلى نقاء أصلها بأكثر الطرق التي لا يمكن تصوّرها. كما كان الحال في زمن القديسة كاترين السيانية، فهذه المرأة البسيطة غير المتعلمة التي أصبحت من أكبر الشاهدات على مجانية موهبة الكنيسة بأكملها، والبابا؛ واستمع لها البابا بسبب هذه الشهادة. وهذا هو السر بالتحديد الذي يجب ألا نخونه: مجانية ينبوع الموهبة. لا يجب أن نخونها بمخاوفنا، قبل كل شيء، وبعدم ثقتنا تجاه الله، وتجاه الكنيسة، وتجاه أنفسنا، وتجاه هذه المجموعة أو تلك؛ إن عدم الثقة هذا تحجب الإحساس بمجانية الكاريزما، لأنه هناك أيضًا يتعرض المؤسس للخيانة حقًا، الذي أعطى وبذل حياته من أجل هذا، وكذلك من يعطيها اليوم حتى تظل الكاريزما حية.

بروسبيري. شكرًا لك.
«قلت لنا أن الرد الإيماني لمرتا لا يجب أن نبحث عنه فيها، وأن إيمانها لا يعتمد على قدرتها، بل يردد صدى ما تراه. لكن، يبدو لنا أن الإيمان يتوقف علينا، كمجهود من جانبنا. ما الذي يمكن أن يساعدنا في أن نعيش خبرة مرتا؟».

الأب ليبوري. يجب أن ننظر إلى يسوع، فالإيمان ينمو بالتمسك بالمسيح. الإيمان هو التمسك بالمسيح. أتذكر أنه في البداية (كنت لا أزال في المدرسة الثانوية) كان يتم تداول كتيب من تأليف جاك لوكليرك، أتذكر منه هذه العبارة: «إن جوهر الإيمان هو التمسك بالمسيح»،[94] وهذا صحيح. يعجبني حقًا هذا المشهد الذي تعبر فيه مرتا عن إيمانها من خلال نظرها إلى المسيح، وبترديد صدى ماهية المسيح وما يقوله لها عن ذاته. إنها لا تكرر كالببغاء، بل هو بالتحديد تكرار مُحِب؛ هو أن نفهم أن الإيمان ليس عقيدة أتلو بنودها، ولكنه نطقي بكلمة «نعم» للمسيح وهو ينظر إلي ويكشف لي ذاته باعتباره القيامة وحياة حياتي. لهذا يجب أن ننظر إلى المسيح، وأن ننظر إليه أيضًا بيننا، وفينا، في الجماعة، في جميع أماكن حضوره، لأننا نراه حاضراً هناك، وأنه حقًا مخلص العالم، مثل المرأة السامرية، التي قادها إلى الإيمان بالتحديد في حوارها مع يسوع الذي جعلها تنقب في حياتها كلها حتى يتمكن من أن يقول لها: «أنا هوَ، أنا الّذي يُكلِّمُكِ».[95] وهذا صحيح بالنسبة لجميع اللقاءات مع المسيح المذكورة في الإنجيل: هناك دائمًا نظرة على المسيح تملأ الشخص بالإيمان، بالإيمان الحقيقي، ففي الواقع حتى المرأة السامرية تذهب إلى المدينة لتقول: «تَعالَوا اَنظُروا رَجُلاً ذكَرَ لي كُلَّ ما عَمِلتُ»، أي أنها تعطي شهادة إيمان، غير ناضج بعد، لكنها تعطي شهادة عن إيمانها. وهذا ينطبق على الجميع: فالإيمان ينمو في خبرة حدث، والحدث الذي يجب أن يختبره الإيمان هو حضور المسيح الذي ينظر إليك ويحبك ويخلصك.

[94] جاك لوكليرك، معضلة الإيمان ومفكري القرن العشرين، حياة وفكر، ميلانو ١٩٩٦، ص ١٠.

[95] يو ٤: ٢٦.

بروسبيري. «لدي انطباع بأن هناك إختلالاً كامنًا يجعل اتباع المسيح يتوافق مع الأشياء والأفعال التي يجب القيام بها. ما هو الإتباع في حقيقته؟ وكيف أعرف وأفهم ما إذا كنت أتبع المسيح حقًا في حياتي أو إذا كنت أتبع فكرتي عن اتباع المسيح؟ هل يمكنني أن أعيش الإتباع دون المشاركة في الأشياء التي تقترحها عليَ الصحبة (من أعضاء الحركة)؟ لماذا هو ضروري لإيمان يوحنا أن يدخل القبر بعد بطرس، ولماذا عليه إتباع بطرس؟».

الأب ليبوري. إن الاتباع ليس هو القيام بأشياء ولا حتى مجرد علاقة روحية مع المسيح، فالاتباع هو اتباع حضور شخصي، واتباع أشخاص، واتباع شخص - المسيح - في علامة حضوره الشخصي الذين هم الأشخاص الذين تبعوه والذين منذ البداية أشار إلى أنهم تجسيد لإمكانية اتباعه من بعده، واتباعه حقًا: مثل بطرس، الرسل، إلخ. دائماً. الكنيسة هي هذه العلامة، واتباع الكنيسة هو بالتحديد الاعتراف بهذه العلامة، وأن الكنيسة هي المكان الذي يتم فيه اتباع المسيح ويتجسد في العلاقات الشخصية. لم يتبع أي منا يسوع المسيح بعد ظهور يسوع المسيح له، ولكن على وجه التحديد كان هناك أشخاص قابلهم، أشخاص ذو سلطة (حتى في البساطة الكاملة، مثل النجار الذي جعلني ألتقي بالحركة منذ أكثر من أربعين عاماً) حتى تدرك وتعترف أن المسيح يطلب منك أن تتبعه، لذلك يوجد هذا الانجذاب، لأن الكنيسة تستمر بالانجذاب إلى المسيح. من ناحيتي، يجب أن نسأل أنفسنا دائمًا إذا ما كنا نتبع أشخاصاً، وليس أشياءً، إذا كان اتباعنا يتجسد في علامة الأشخاص الذين تركهم المسيح كإمكانية لاتباعه حتى نهاية العالم. وهذا ما يضمنه بطرس دائمًا، لأنه على وجه التحديد بإعطاء هذا المنصب لبطرس وعندما قال له: «اتبعني» (حتى يستطيع إتباعه بعد ذلك يوحنا وألف شخص آخر) أن يسوع وضع هذه العلامة، وهذا التحقق من حقيقة اتباع الذي هو اتباع الأشخاص الذين لا أختارهم بدافع الاستلطاف، ولكن تم اختياري من بينهم، وفيهم تعطي الكنيسة ذاتها كمكان يمكنني فيه حقًا اتباع المسيح وليس أنا. وليس تفسيري ولا احساسي. لا أعرف إن وصلكم ما أعنيه. ربما يكون موضوعًا يحتاج إلى مزيد من التعمق.

بروسبيري. هذا التأكيد جميل: «أنا لا أتبع لأني أختار، ولكن لأني مُختار»، لأن هذا أيضًا يحدد معيار السلطة التي يجب اتباعها، أليس كذلك؟ هل هو كذلك؟

الأب ليبوري. نعم، لأنه باللقاء مع المسيح، وفي اللقاء مع المسيح، يمنحنا الله أيضًا المكان الذي نتبعه فيه، لأنه يمنحك أن تُولد، ولكنه لا يتركك مثل طفل حديث الولادة ومتروك في منتصف الطريق، بل يجعلك تُولد في أسرة وفي صحبة من الأشخاص، وبعد ذلك يتضح من عليك إتباعه، فهو عطية لك. أتذكر أنه منذ بداية اللقاء أدركت أنه يجب علي أن أتبع وأطيع بدافع الحب لذاتي، لأنني لم أرغب في ضياع هذا الحدث الذي ملأ قلبي، حتى عندما رأيت بمرور الوقت كل محدودية الأشخاص الذين قادوني إلى اللقاء. من الواضح أنه عاجلاً أم آجلاً، ستظهر هذ المحدودية - لأنها موجودة ولا يمكن أن تكون غير موجودة -، ومع ذلك فهمت دائمًا أن الاتباع كان خيراً بالنسبة لي، وهذا ما أنقذني دائمًا:

فقد التزمت بالاتباع والطاعة على الرغم من كل شيء، لأنني فهمت أنه بهذه الطريقة فقط يمكنني أن أظل مخلصًا ووفياً لما أُعطيَ لي، ولخبرة جاذبية اللقاء مع المسيح التي عشتها.

بروسبيري. شكرًا لك.
«قُلتَ أنه إذا قُلتُ لمن يقف بجانبي: «إن المعلم هنا وهو يدعوك»، فأنا أنقل هذه الرسالة إلى العالم كله. هل يمكنك أن تشرح بشكل أفضل كيف تصبح هذه مسكونية ومسؤولية عالمية للمؤمنين؟»

الأب ليبوري. إن المشكلة الحقيقية هي السماح بحدوث حدث وليس حساب الفعالية. ففي الرسالة، وفي عيش شهادة الحياة، ورسالة الكنيسة، ما يُهِمْ ليس قياس الفاعلية أو القوة أو الوسائل، بل السماح بحدوث الحدث فقط. وهي الطريقة التي بدأتها العذراء مريم، نِسمة حرية مريم التي تقول: «فَلِيَكُنْ لي بِحَسَبِ قَوْلِكَ» والتي نقلت حدث المسيح إلى العالم أجمع. وإذا كان هناك من نَقَلَ حدث المسيح إلى العالم أجمع فهي العذراء، السيدة العذراء، بل وبطرس أيضاً بكلمة «نعم». ولا يمكنني نقله إلا كحدث، لذا إذا لم أختبر هذا الحدث ولم أدعه يُخلصني، فأنا لا أنقله إلى العالم بأسره، ولا أنقل الحدث؛ إنما أنا أنقل نظرية أومنظومة أخلاقية أو لا أعرف ماذا. فإذا لم تكن لدي خبرة أن المعلم هنا ويدعوني ويخلصني، ولم أشاركه مع من حولي، فأنا لا أنقل الحدث. إن الحدث أشبه بشعلة نار: وحتى شعلة شمعة صغيرة يمكنني أن أنقلها إلى العالم بأسره، ولكن بإشعالها لمن حولي، ونقلها كشعلة نار وليس إرسال رسالة إلى أستراليا تفيد بوجود شعلة نار في إيطاليا. إذا لم يكن هناك تواصل، فأنا لا أنقل أي شيء. وهذا هو السبب في أن عيش الحدث مع من حولي هو أمر أساسي، لأنني إذا لم أعيشه مع من حولي، فهذا يعني أنني لا أعيشه ولا أنقله كحدث. لا أعرف إذا كانت إجابتي مفهومة وواضحة لكم.

بروسبيري. نعم، نحن مدعوون لإشعال نار عملياً!

الأب ليبوري. بالطبع! «جِئْتُ لأُلقِيَ نارًا على الأرضِ، وكم أتَمنَّى أن تكونَ اَشتَعَلَت!»[96]

بروسبيري. كان هذا السؤال بجوانبه المتنوعة هو الأكثر شيوعًا، لذلك أبقيناه إلى النهاية. «إلى ماذا يرجع الانفصال بين الحرية والرغبة؟ وما الذي يمكن أن يشفي هذا الانقسام؟ قُلتَ أن القلب يلتقي ويرغب ويريد أن يحتضن، لكن الحرية، بسبب حساب غير واعٍ للذات وبسبب خوف مُختلق من الأشباح، يقول لا، ويمنع العناق. وأن هذه الحرية الزائفة، "المُعذِبة لذاتها، تبتعد بالقلب الطفولي الذي كان على وشك احتضان يسوع"، مقترحة طرقا وامتلاءات أخرى سيتضح فيما بعد أنها كلها خاطئة. كيف يبدو أن هذه الحرية الزائفة تنتصر أحياناً على الوفرة الفائقة التي اختبرناها يسوع؟ وكيف يمكننا أن لا نشعر بالصدمة وبالجمود؟»

[96] لو ١٢: ٤٩

الأب ليبوري. أعتقد أن الخطيئة الأصلية موجودة هنا بالتحديد بسبب وجود ميلاً عبثياً فينا إلى عدم التمسك بالخير، وإلى التخلي عن دليل الخير، والصالح، والجميل، وإلى التخلي عن فرحتنا. ويخلق هذا الميل العبثي انفصالًا بين الحرية والرغبة. فالرغبة ترغب في المسيح وحده، ومع ذلك هناك لعبة الحرية هذه التي، بسبب حساب عبثي لتحقيق الذات – لأنها مستقلة وزائفة – لا تُطيع الرغبة التي تُظهِرُ لها الحقيقة التي تملأ القلب، أي أن الحرية تنتزع القلب بعيدا عن ما يرغب فيه. وهذا ما يقوله القديس بولس: «لأنِّي أعلَمُ أنَّ الصّلاحَ لا يَسكُنُ فيَّ، أي في جسَدي. فإرادةُ الخَيرِ هِيَ بإمكاني، وأمَّا عمَلُ الخَيرِ فلا. فالخَيرُ الّذي أُريدُهُ لا أعمَلُهُ، والشَّرُّ الّذي لا أُريدُهُ أعمَلُه.»،[97] أي، يشعر الانسان بذاته داخل هذه الحرية المجروحة، بُجرح كالافتخار بالذات، وكموقف المتباهي أمام الحياة، فالحرية التي لا تنحني إلى رغبة انجذاب واضح وحضور واضح يجذبك، ويُسحرك، ويمنحك كل شيء. ويقول يسوع: «ولكنَّكُم لا تُريدونَ أنْ تَجيئوا إليَّ لِتكونَ لكُمُ الحياةُ.»؛[98] وهذا هو أنين يسوع: «ولكن كيف؟ أنا أعطيكم الحياة وأنتم لا تريدون أن تأتوا إليَ، وحريتكم تختار ألا تأتي إليَ، ولا ترحب بي، ولا تحبني، ولا تستقبلني، ولاتقبلني!».

ولكن الخزي أمام هذا الميل للحرية هو آخر معقل للخطيئة والكبرياء. إنه الحصن الأخير، لأنه يشبه القول: «إنني مصدوم من هذا الميل ولهذا السبب أتعمق أكثر في هذه الديناميكية العبثية للخطيئة».

ما الذي يخلصنا؟ إنها بالضبط رحمة الله، الدليل على أنه يأتي دائمًا ليستردنا. ففي خبرة حياتي كلها، في كل مرة خضعت فيها حريتي إلى درجة عدم التوافق، جاء المسيح دائمًا ليستردني. إنه دليل على مجانيته، مجانية مجانيته، ومجانية خلاصه، وكيف أن خلاصه أقوى منا، فهو أقوى من الخطيئة. لأن المسيح في النهاية، الشكر لله، يصغي إلى رغبة قلوبنا أكثر مما يصغي إلى حريتنا: وعندما يرى أن حريتنا قد أصابها الجنون إلى درجة التناقض مع دليل الرغبة، والدليل على جاذبية، فإن رحمة الله اللامتناهية تجعله يستردني من جديد، كما فعل مع بطرس، على وجه التحديد لأنه في النهاية – على وجه التحديد، كما قلنا من قبل – حتى الخطيئة يجعلها صرخة أخيرة لنا طلبًا للمساعدة: «خلصني!». يجعلنا المسيح نتعمق داخل ذواتنا، وفي حالتنا، ويحاصر حريتنا، لذلك لم يعد بإمكانها حتى الكذب، ثم تصرخ وتصبح حرة حقاً: «خلصني!»، وهذا يحدث. أنا لا أقول هذا لأنني أعرف ذلك، ولكن لأننا نختبره؛ إنها خبرة مُعاشة. إن استرداد الله لنا المستمر هذا من بؤسنا ومن كبريائنا هو بالضبط الوجه الفائق لرحمة الله، مثل الراعي الصالح الذي يعبر البحار والجبال ليأتي باحثًا عن الخروف الضال الذي دمر حياته تمامًا لأنه اختار فصل حريته عن الرغبة في الامتلاء التي يصرخ بها قلبه.

[97] رومية ٧: ١٨-١٩.

[98] يو ٥: ٤٠.

بروسبيري. إن صورة الرحمة هذه جميلة للغاية: يستمع المسيح إلى رغبة قلوبنا أكثر من حريتنا. هذا هو السؤال الأكثر تكراراً على الاطلاق.
«لقد تأثرت كثيرا بالمقطع الذي شاركتنا به بعد ظهر يوم السبت حول الجاذبية والحرية. لقد قُلتَ إنهما في العالم عبيد الواحدة للآخرى وأنا أجد نفسي كثيرًا في هذا الوصف. هل يمكنك توضيح هذا المقطع؟».
في مرحلة ما، أضفت أن الانجذاب والحرية «ينصهران»، ثم سأل الكثيرون عما كنت تعنيه.

الأب ليبوري. لقد خطر ببالي في تلك اللحظة أنه ليس عليك أن تأخذ كل ذلك كعقيدة!

بروسبيري. اوه! أشعر بتحسن عندما تقول أنه يمكن للمرء أيضًا أن يقول شيئًا قد أفلت منه!

الأب ليبوري. لكنني لا أعتقد أنه من الحماقة القول بأن الجاذبية والحرية يندمجان في العالم، وأن هناك علاقة اندماجية بين الجاذبية والحرية. أعتقد أن هذا لا يتم في الحدث المسيحي، ولهذا السبب يمنحنا الله خبرة الانجذاب ويمنحنا الحرية. يبدو الأمر كما لو أن الله خلق مسافة بينهما. ليس هناك اندماج بين ما يجذبني وحريتي، لكن هناك مساحة للرغبة. ربما تكون «الرغبة» هي الكلمة الثالثة التي يجب وضعها في الوسط، لأنها تجعلنا نفهم بشكل أفضل: فعندما تندمج الحرية والجاذبية، لم يعد هناك مجال للرغبة، وبالتالي لم يعد هناك مجال للحرية، فلا وجود لمساحة أكبر للحرية للقيام بمسيرة نحو شيء آخر غير الذات. أعتقد أن هذا هو ما قَصدتُه، لأنه عندما تندمج الجاذبية والحرية لم يعد بإمكانهم ...

بروسبيري. ... توليد توتر.

الأب ليبوري. ... إتخاذ القرار لأنفسهما، ولم يعد بإمكانهم الإختيار لأنفسهما، ولم يعد بإمكانهم قول نعم لبعضهم البعض، لذا فهم عبيد. إنها مثل بعض شخصيات دانتي في كتاب الجحيم، الذين على الرغم من كره بعضهم البعض قد اندمجوا، ولم يعد بإمكانهم فصل أنفسهم، ولا يمكنهم إلا أن يلتهموا بعضهم البعض. أعتقد أنه من المهم فهم هذا الأمر، لأنه هنا، إذن، يكمن كل الحديث عن البتولية والعفة: بين ما يجذبني وحريتي هناك مساحة للرغبة، والاختيار، والاحترام، مما يعني أن الاحتضان حقًا فعل حرية وليس شيئًا يغلقني؛ إنه حقاً فعل حب وليس مجرد استسلام لعناق يضمك إليه ويخنقك ويقتلك في النهاية ويقمعك. لكنه موضوع لا نهاية له، لذلك علينا أن نستمر في التفكير فيه.

بروسبيري. لحسن الحظ أنها فلتت منك، هاه!
في الختام، أود قراءة سؤال، وهو أيضًا شهادة، من إحدى صديقات خاركيف التي كتبت:

«لقد منحتني خبرة حياة الحركة إمكانية القيام وإتمام المسيرة التي قامت بها مرتا التي تحدثت عنها وإختبار الرغبة المستمرة في المسيح التي إنبثقت عن تلك المسيرة. وبفضل هذه الخبرة أرى رحمته كل يوم. ولكن في الأشهر الأخيرة، إستفحل الشر إلى درجة أنه بالنسبة للأوكرانيين لا يتعلق الأمر بعدم رضا مرتا عن الحقيقة بأن الإنسان مُقدر له أن يموت. إذ تتعرض مدينتي للقصف كل يوم، واضطرت العديد من النساء إلى ترك منازلهن، وفقدن أسرهن، ورأين أزواجهن يذهبون إلى الحرب. إنهن خائفات ويتألمن ويشعرن بالكراهية. في هذه اللحظة، بسبب حصار ماريوبول، هناك نساء وأطفال يموتون من الجوع أو يصابون ويعانون معاناة هائلة. لقد دُفِنوا أحياء. يبدو الأمر كما لو أن خبرة مرتا اقترحت عليّ أن أفصل نفسي عن واقعي أو أن أقنع بذكرى المسيح. أوكرانيا لا تعيش الآن تجربة مرتا، بل خبرة المسيح الذي صرخ على الصليب: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟». والكثير منا يعرف أنه لم يتركه، لأننا نعرف المسيح القائم من بين الأموات. ولكن كيف نعيش اليوم وسط الشر الشامل، الذي فيه حتى المسيح وجد صعوبة في رؤية الآب؟».

الأب ليبوري. إنه بالتأكيد السؤال، الرسالة التي تثيرني بشكل واضح. عليَ أن أقول بأنني أثناء التحضير لهذه الرياضة الروحية لم أنس أبداً للحظة الألم الذي نعيشه جميعاً منذ اندلاع هذه الحرب. فهذا الألم في نهاية الأمر، بطريقة أو بأخرى، ألهم كل الرياضة الروحية، لأنه لم يعد بإمكانك أن تعيش أي شيء دون التفكير في هذا، ودون مشاركة هذه المأساة، هذه اللحظة التي يبدو أن الموت والشر ينتصران فيها. لهذا السبب، وأنا أفكر في أوكرانيا بالتحديد، أردت إنهاء الدرس الثاني من الرياضة الروحية بعرض غرق سفينة القديس بولس، لأن حربًا كهذه هي في الحقيقة غرق سفينة، ليس فقط لأوكرانيا وليس فقط لروسيا، ولكن لأوروبا وللعالم بأسره، غرق سفينة البشرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى: غرق الإنسانية وما هو انساني والإنسانية المقصود بها جميع البشر الذين يعيشون على هذه الأرض اليوم. وهذا هو السبب في أنها ساعدتني في معرفة كيف عانى القديس بولس من غرق السفينة. بالطبع قال القديس بولس لرفاقه: «لن ننقذ السفينة»، وهذا جعلني أفكر كثيرًا، لأنه شيء لا يسعنا إلا أن نتمرد عليه. ويضيف: «لكن أرواحكم ستُنقَذ».[99] ولإظهار هذا القديس بولس – إنه أمر لا يصدق! – يأخذ الخبز، ويشكر، ويكسره ويأكله: يحتفل بالإفخارستيا وسط الغرق الكامل للسفينة، أي يؤكد الحضور الحقيقي للمسيح وسط الغرق الكامل للسفينة. والذي يؤكد عليه المسيح من جديد هو بالتأكيد ما نحتاجه فقط – مسيح مرتا – لكنه المسيح المصلوب، المسيح القائم من بين الأموات، المسيح الذي نزل (كما تقول صديقتنا) إلى قاع الطبيعة الانسانية حتى اليأس من الله: فقد أراد يسوع النزول إلى القاع، إلى جحيم غرق السفينة الانسانية، إلى درجة

[99] أنظر هنا الصفحات ٥٤-٥٥.

اليأس حيث ييأس الإنسان من الله، ليس هو الذي يئِس من الآب، بل الإنسان. لقد نزل يسوع ليحتضن يأسنا أيضًا. فكما عانق موتنا، احتضن يأسنا. لذلك علينا فقط أن نسأل أنفسنا إلى أي مدى ندرك من هو الضروري الوحيد الذي يملأ قلوبنا، ومن هو هذا الانسان حقاً الذي يقول لنا: «أنا هو القيامة والحياة» ومن يعد ويقول أيضًا: «من يموت سيحيا». هذا هو المسيح المصلوب، هذا المسيح الذي يموت من أجلنا، هذا الحب اللامتناهي لله الذي ليس بغريب على غرق العالم، إنه ليس غريباً، إنه في الداخل. في هذه اللحظة، يسوع هو الذي يعاني في أوكرانيا، ومن مات، وتركه أحبائه، وتم اغتصابه في النساء، وهو الذي يتحمل كل شيء. وعلينا فقط الاعتراف به، ولا يمكننا سوى أن نجدد حقاً كلمة «نعم» له أينما نحن، في الحياة التي نعيشها، حتى يظهر ذلك لإخواننا وأخواتنا في أوكرانيا، حتى يُظهِر نفسه للجميع، حتى الروس، تمامًا مثل من يعيش هذا في الوقت الحاضر، ويمر بهذا، وهو يعيش خبرة الغرق مع كل الناس. ولأنه هو بالتحديد تم التغلب على غرق السفينة، وبسبب وجوده بالتحديد ينتهي هذا الموت بالقيامة، وينتصر على هذا الشر، الذي لا يسود، ولن تكون له الهيمنة، وليست له الكلمة الأخيرة.

أشارت لي إحدى الصديقات إلى أن اليوم هو ذكرى وفاة كل من تاكاشي باولو ناجاي والقديس ريكاردو بامبوري: كلاهما توفي في الأول من مايو. يا لها من عناية إلهية! تاكاشي ناجاي (نوهت عن ذلك قليلاً بالأمس)، في الكتاب الذي كتبت فيه المقدمة والذي لم يُنشر بعد لأسباب تحريرية – «ما لا يموت أبداً»؛ إنها سيرته الذاتية –، يصف فيها (إنها شهادة لا تصدق!) المشهد الذي دمرت فيه القنبلة كل شيء ووجد نفسه يواجه دمار حياته بالكامل: زوجته، وظيفته، طلابه، جامعته، مدينته، كنيسته، لقد تم إبادة كل شيء، كل شيء. وهناك تملكته لحظة من اليأس وبعد ذلك جاءته ما يشبه الرؤيا، وهو يسمع يسوع يقول له: «السماوات والأرض تزولان، لكن كلامي لن يزول أبداً»، أي أن يسوع يعطيه اليقين بأنه المنتصر وأنه لا يموت أبداً. ومنذ تلك اللحظة، اختار تاكاشي أن يعيش فقط من أجل من لا يموت أبدًا، أي من أجل المسيح، وسوف يقضي السنوات الأخيرة من حياته مريضًا (كما تعلمون، فقد قرأتم الكتاب)، مؤكداً بفرح وإيمان ما. لا يموت أبدًا، فالمسيح هو القيامة والحياة، بكل الطرق: كتابته عن علاقته بطفليه، ولقاؤه بالكثير من الناس، وتقديم مرضه؛ في كل شيء سيؤكد فقط أن المسيح هو قيامة الإنسان وحياته وأن هذا لا يموت أبداً في كل حادثة غرق قد تحدث. هنا، لدينا مسؤولية أن نعيش هذا مع إخوتنا وأخواتنا في أوكرانيا، كلمة «نعم» هذه للمسيح الذي لا يموت أبدًا، وبفضله لن ينتصر الموت والشر أبداً.

أمام هذه الرسالة من صديقتنا الأوكرانية، لا أجيب؛ أريد فقط أن أقبلها. أقول فقط إنني أشعر بقبول الرسالة كما هي وعيشها كما هي، كرسالة ستصبح جزءاً من الواجب الذي ستتركه لي هذه الرياضة الروحية في العيش، في عيش حياتي. لا أستطيع، ولا يمكننا أن نعيش بدون الوعي بهذه الصرخة التي نقلتها إلينا صديقنا. هذا كل شئ.

بروسبيري. شكرا لك، شكرا جزيلا! سيكون لدينا الوقت لاستعادة كل هذه الأشياء.
دعونا نتلو ترنيمة «يا ملكة السماء».

أعزائي،

أود أن أكون حاضراً بينكم جميعًا بمناسبة الرياضة الروحية السنوية. «المسيح، حياة الحياة»، كما علّمنا خادم الله المونسنيور لويجي. جوساني، هو. أصل. ثباتنا. ولا شيء، ولا حتى ضعفاتنا يمكنها تغيير هذا الوضع. لذا، وبتواضع نطلب بتوسل عيونًا جديدة لتراه في حياتنا وفي علاقاتنا. لنطلب من العذراء مريم، في شهر أيار (مايو) هذا، بساطة القلب للتعرف على هبة اللقاء والواجب النابع منه: حب الحركة والكنيسة وإيصال جمالها.

أباركم في الرب.

نيافة الكاردينال أنجيلو سكولا

رئيس أساقفة ميلانو الفخري

قداسة البابا فرنسيس

قداسة البابا،
شارك أكثر من ٤٠٠٠٠ شخص – تجمعوا في مجموعات عبر التواصل المباشر بالفيديو من ٩٤ دولة – في الرياضة الروحية السنوية لأخوية الشراكة والتحرر، بالتأمل في «المسيح، حياة الحياة». وكما نحن بصحبة الأب ماورو جوزيبي ليبوري – الذي قدم لنا شهادته الشخصية كانسان جذبه المسيح وغيّرهُ – نظرنا إلى يسوع، وتركنا أنفسنا ليجذبنا، والذي انضم إلينا في صحبة دعوية، مع أشخاص قرروا اتباع المسيح، الشخص الوحيد الذي نحتاجه للعيش، وهو الإجابة الشاملة لحاجتنا إلى السعادة والسلام والأخوة والجمال وتحقيق الحياة.
عمقنا في هذه الأيام قيمة أخويتنا، بإخلاصنا للموهبة التي منحها الروح القدس للأب جوساني: وهي المكان الذي فيه نتحقق من أن المسيح هو كل شيء لقلب الانسان، وأساس لصداقة غير ممكنة إلا به، لذلك نستطيع أن نقول أيضاً: «إن حياة حياتي، هو المسيح" (الأب جوساني).
بقلوب مليئة بالامتنان لبركتكم الرسولية، وفي حاجة إلى تثبيت بطرس لنا في الايمان باستمرار، ونطلب من قداستكم استخدامنا كما ترون مناسبًا للتعاون في عمل المسيح الخلاصي، ونحن على وعي بأن المسيحية لا يتم توصيلها عن طريق التبشير – كيف ذكرنا مرات عديدة! – ولكن عن طريق الجاذبية.
ونحن أكثر مسؤولية عن وحدتنا تجاه كل قلب بشري نلتقي وتحركنا المحبة التي تجعل كل شيء جديدًا، نواصل الصلاة من أجل قداستكم، الشاهد الراسخ للمسيح الحي، الذي هو في زمن الحرب هذا الينبوع الوحيد للسلام الحقيقي ..
دافيدي بروسبيري
قداسة البابا الفخري بنديكتوس السادس عشر

قداسة البابا،
خلال الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر – التي شارك فيها أكثر من ٤٠٠٠٠ مشارك عبر التواصل المباشر بالفيديو من جميع أنحاء العالم – لقد عشنا خبرة اللقاء مع المسيح الحي. وسمحت لنا تأملات الأب ماورو جوزيبي ليبوري حول موضوع «المسيح، حياة الحياة» (الأب جوساني) بالنظر إلى المسيح الذي يأتي ليلتقي بانسانيتنا المحتاجة إليه وحده، وهو الوحيد الضروري. وبرفقته يمكننا القيام بمسيرة إنسانية لخير الحركة والكنيسة والعالم.
نسأل السيدة العذراء مريم أن تملأ أيام قداستكم بالسلام والفرح، ونطلب من قداستكم صلاة من أجل مسيرة أخويتنا.
دافيدي بروسبيري

نيافة الكاردينال كيفن جوزيف فاريل
رئيس المجلس البابوي للعلمانيين والأسرة والحياة

صاحب النيافة الموقر،
شارك أكثر من ٤٠٠٠٠ شخص في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، الذين تواصلوا من جميع أنحاء العالم للتأمل في موضوع: «المسيح، حياة الحياة»، وهو تصريح للأب جوساني عمقه الأب ماورو جوزيبي ليبوري من خلال التأملات وتقديم الشهادة على أن اللقاء مع المسيح هو حدث جديد يغير وجود من يقبلونه ويتبعونه باعتباره الشخص الوحيد الضروري للعيش.
ونستأنف مسيرتنا بالرغبة في تحمل مسؤولية الموهبة أكثر فأكثر، ونضع كل ما نحن عليه بالنعمة في يد القديس بطرس، حتى يثبت إيماننا، للتعاون بمادية وجودنا في حياة الكنيسة التي هي علامة رجاء لجميع الإخوة في البشرية.
بينما نطلب الصلاة من أجل مسيرتنا، نضع بين يدي العذراء مريم مهمتكم في مرافقة مسيرة المؤمنين العلمانيين.
دافيدي بروسبيري

نيافة الكاردينال جوالتييرو باسيتي
رئيس المؤتمر الأسقفي الإيطالي
صاحب النيافة الموقر،
شارك أكثر من ٤٠٠٠٠ شخص حول العالم – ومعظمهم من إيطاليا – في الرياضة الروحية السنوية لأخوية الشراكة والتحرر، والتي عقدت مرة أخرى هذا العام عبر التواصل المباشر بالفيديو. لقد سمح لنا الموضوع: «المسيح، حياة الحياة» (الأب جوساني)، بتعميق الوعي، بارشاد الأب ماورو جوزيبي ليبوري الذي شاركنا في تأملاته، بأن المسيح ضروري لنا لكي نحيا وأن وجوده وحده الآن يلبي الاحتياج اللانهائي لقلبنا.
وفي إخلاصنا للموهبة التي تلقيناها ومرتبطين ببطرس ارتباطًا وثيقًا، نواصل المسيرة منغمسين في حياة الكنيسة الموجودة في إيطاليا، للتعاون في إيصال الإيمان إلى جميع من نلتقي بهم والذين، حتى عن غير قصد، ينتظرون لقاء من يملأ الحياة بالفرح والسلام.
ونحن نصلي من أجل شخصكم، نطلب منكم الاستمرار في مرافقة مسيرتنا بمحبتكم الأبوية.
دافيدي بروسبيري

نيافة الكاردينال أنجيلو سكولا
رئيس أساقفة ميلانو الفخري

عزيزي أنجيلو،
ونحن ممتنون لرسالتك، امتلأنا بالصمت في أيام الرياضة الروحية هذه الأيام أمام الحدوث من جديد «للمسيح، حياة الحياة»، الذي وصل إلينا من خلال شهادة الأب ماورو ومن خلال كلمة «نعم» التي قالها للحدث الحاضر الذي يجعل العيش مثله ومثل يسوع شيئًا جذاباً. وشكراً لك على تذكيرنا بأن أي ضعف لايمكنه النيل من يقيننا المتواضع بأنه هو أساس تماسكنا أمام كل شيء وكل انسان.
ونحن نرفع الصلاة من أجلك إلى العذراء مريم، نطلب منك أن تحفظ في قلبك كل الأخوية.
دافيدي بروسبيري

الفن في صحبتنا

من إعداد

چوفانا بارافيتشيني

(دليل لقراءة الصور المأخوذة من تاريخ الفن التي صاحبت
الاستماع إلى المقطوعات الموسيقية الكلاسيكية عند الدخول والخروج)

«ذكّرنا الأب جوساني في الرياضة الروحية للأخوية في عام ١٩٩٤ بأن «الفن يستشرف شيئًا من الأبدية». إذ تقدم لنا أشكال قليلة من الفن شهادة فورية على هذا التأكيد مثل الأيقونة التي هي نافذة تنفتح على اللامتناهي. وطريق تعليم للنظرة التي تبدأ من إعادة قراءة تاريخ الخلاص للوصول إلى التأمل في الوجه الصالح للسر باعتباره هدف الحياة.

١) حبل أم الله، ١٢٩٤-١٢٩٥، جدارية، شمال مقدونيا، أوهريد، باناجيا بيريبلبتوس.
٢) حبل أم الله، من القرن الثامن عشر، روسيا، متحف سوليجاليتش (كوستروما).
٣) حبل أم الله، من القرن السابع عشر، روسيا، متحف أركانجيلسك للفنون الزخرفية.
٤) ميلاد أم الله، ١٣١٤، صربيا، دير ستودينيكا.
٥) ميلاد أم الله، من القرن السادس عشر، روسيا، موسكو، مجموعة ڤوروبيف.
٦) تقديم مريم العذراء إلى الهيكل، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف ڤلاديمير-سوزدال للفنون.
٧) تقديم مريم العذراء إلى الهيكل، من القرن الرابع عشر، موسكو، مدرسة نوفجورود، بمدينة سان بيترسبورج، المتحف القومي الروسي.
٨) البشارة للفنان أوستوج، من القرن الثاني عشر، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوف القومي للفنون.
٩) البشارة، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، متحف ڤلاديمير-سوزدال للفنون.
١٠) البشارة، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف ڤلاديمير-سوزدال للفنون.
١١) ديونيزي، زيارة مريم لأليصابات، ١٥٠٢، جدارية، روسيا، دير فيرابونت، كنيسة ميلاد أم الله.
١٢) ميلاد المسيح، ١١٩٢، قبرص، لاجوديرا.
١٣) ميلاد المسيح، ١٤١٠-١٤٣٠، روسيا، ورشة روبليف الفنية، موسكو، معرض تريتياكوف القومي للفنون.
١٤) أندريه روبليف، ميخائيل رئيس الملائكة (من ديسيس بزڤينيجورود)، ١٤١٠-١٤٢٠، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوف القومي للفنون.

١٥) أم الله تحمل الطفل يسوع، ١٢٦٠-١٢٧٠، صربيا، دير كيلانداري، أثوس.
١٦) أم الله تحمل الطفل يسوع، من القرن التاسع-الثالث عشر، جورجيا، تبليسي، متحف أميراناشڤيلي الوطني للفنون.
١٧) أم الله تحمل الطفل يسوع، من القرن الرابع عشر، مقدونيا الشمالية، أوهريد، معرض الأيقونات.
١٨) أم الله الحنونة، القرن السادس عشر، روسيا، متحف ڤلاديمير-سوزدال للفنون.
١٩) أم الله المتألمة، من القرن الثاني عشر، قبرص، لاجوديرا.
٢٠) تقديم يسوع إلى الهيكل، من القرن الثاني عشر، قبرص، لاجوديرا.
٢١) تقديم يسوع إلى الهيكل، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٢٢) تقديم يسوع إلى الهيكل، من القرن السابع عشر، روسيا، ياروسلاڤل، متحف الفنون.
٢٣) يسوع بين معلمي الهيكل، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٢٤) يسوع بين معلمي الهيكل، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف بسكوڤ.
٢٥) معمودية الرب، من القرنين الخامس والسادس عشر، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٢٦) معمودية الرب، ١٤٠٨، روسيا، مدرسة موسكو، سان بيترسبورج، المتحف القومي الروسي.
٢٧) القديس يوحنا المعمدان بمشاهد من حياته، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف روستوڤ.
٢٨) المسيح الجالس على العرش، ١٢٦٠ - ١٢٧٠، صربيا، دير كيلانداري، أثوس.
٢٩) المسيح الجالس على العرش، ١١٩٢، قبرص، كنيسة باناجيا أراكا، المتحف البيزنطي بنيقوسيا.
٣٠) المسيح الجالس على العرش، من القرنين الثالث والرابع عشر، جورجيا، قرية زڤيبي.
٣١) أندريه روبليڤ، المخلص، (من ديسيس بزڤينيجورود)، ١٤١٠ - ١٤٢٠، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.
٣٢) تيوفاني اليوناني، التجلي، ١٤٠٣ تقريباً، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.
٣٣) التجلي، ١٤٧٠ - ١٤٨٠، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٣٤) المسيح الجالس على العرش، من القرن السادس، دير القديسة كاترين بجبل سيناء.

٣٥) إقامة لعازر من الموت، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.

٣٦) الدخول لأورشليم، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، موسكو، مجموعة خاصة.

٣٧) الدخول لأورشليم، ١٤٣٠ تقريباً، روسيا، مدرسة نوڤجورود، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٣٨) غسل المسيح لأرجل التلاميذ، ١٥٠٩، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.

٣٩) العشاء الأخير، القرن السادس عشر، روسيا، مدرسة روستوڤ-سوزدال، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٤٠) شركة الرسل، ١٥٢٠ - ١٥٣٠، روسيا، موسكو، مجموعة خاصة.

٤١) مشاهد من الآلام (العشاء الأخير و غسل الأرجل والصلاة في بستان الزيتون وخيانة يهوذا)، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.

٤٢) مشاهد من الآلام (جلد المسيح والسخرية من المسيح وصعود جبل الجلجثة والصلب)، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.

٤٣) الصعود إلى جبل الجلجثة، ١٤٩٧ تقريباً، روسيا، موسكو، متحف روبليڤ.

٤٤) صورة وجه المخلص المطبوعة على منديل، من القرن الثاني عشر، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٤٥) الصلب، من القرنين الحادي والثاني عشر، جورجيا، قرية سڤيبي.

٤٦) الصلب، ١٢٠٨ - ١٢٠٩، صربيا، دير ستودينيكا.

٤٧) ديونيزي، الصلب، ١٥٠٠، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٤٨) إنزال المسيح من على الصليب، من القرن الخامس عشر، روسيا، مدرسة الشمال، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٤٩) بكاء المسيح، ١١٦٤، مقدونيا الشمالية، جورنو نيريزي، كنيسة سان بانتيليمون.

٥٠) بكاء المسيح، ١١٤٠ تقريباً، روسيا، بسكوڤ، دير ميروز.

٥١) النزول إلى الجحيم مع القديسين، من القرن الخامس عشر، روسيا، مدرسة بسكوڤ، متحف بسكوڤ القومي للعمارة والفنون الجميلة.

٥٢) النزول إلى الجحيم، ١٥٠٢، روسيا، ورشة ديونيزي الفنية، سان بيترسبورج، المتحف القومي الروسي.

٥٣) النزول إلى الجحيم، من القرن الرابع عشر، روسيا، مدرسة موسكو، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

٥٤) النساء عند القبر، قبل عام ١٢٢٨، صربيا، ميليسيڤو.

٥٥) النساء عند القبر، حوالي عام ١١٤٠، روسيا، بسكوف، دير ميروز.
٥٦) شك توما، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٥٧) شك توما، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف أركانجيلسك للفنون الزخرفية.
٥٨) الصعود، ١٤١٠ – ١٤٢٠، روسيا، ورشة روبليف الفنية، موسكو، معرض تريتياكوف القومي للفنون.
٥٩) الصعود، ١٥٤٢، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٦٠) عيد حلول الروح القدس، من القرنين الخامس والسادس عشر، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٦١) رُقاد أم الله، ١٢٦٣ – ١٢٦٨، صربيا، سوبوكاني.
٦٢) رُقاد أم الله، ١٤٧٠ – ١٤٨٠، روسيا، مدرسة نوڤجورود، المتحف القومي للعمارة والفنون الجميلة بنوڤجورود.
٦٣) أم الله الحنونة، من القرن الخامس عشر، روسيا، متحف ڤلاديمير – سوزدال للفنون.
٦٤) أم الله الحنونة لڤلاديمير، من القرن الثاني عشر، بيزنطة، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.
٦٥) أم الله (المصلية)، حوالي عام ١٢٢٤، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.
٦٦) ديونيزي، أم الله تحمل الطفل يسوع، ١٤٨٢، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.
٦٧) لفيف جميع القديسين، من القرن السادس عشر، روسيا، متحف روستوڤ.
٦٨) أندريه روبليف، ١٤٢٥ – ١٤٢٧، روسيا، موسكو، معرض تريتياكوڤ القومي للفنون.

الفهرس	ص
رسالة البابا فرنسيس	3
مساء الجمعة ٢٩ إبريل ٢٠٢٢	
تحية المقدمة	4
المقدمة – «نحتاج إلى شيء واحد فقط»	9
صباح السبت ٣٠ إبريل ٢٠٢٢	
التأمل الأول – «الميلاد من اللقاء والنمو في الإتباع»	19
بعد ظهر السبت ٣٠ إبريل ٢٠٢٢	
التأمل الثاني – «المعلم ههنا ويدعوك»	38
صباح الأحد ١ مايو ٢٠٢٢	
الإجتماع العام	56
الرسائل التي تم تلقيها	72
البرقيات التي تم إرسالها	73
الفن في صحبتنا	76

© ٢٠٢٢ الحقوق محفوظة لأخوية الشراكة والتحرر لنصوص الأب لويجي جوساني ودافيدي بروسبيري والأب ماورو جوزيبي ليبوري